البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

الآداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس الأول



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {سنتحدث في هذا الفصل -بإذن الله- عن الآداب والأخلاق، وسيتحدث فضيلة الشيخ في هذه الحلقة -بإذن الله- عن وقفات مع حديث «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[١]}.

- أمَّا بعد؛ فالأخلاق من الأمور التي تُقرها الفِطَر السليمة، والعقول المستقيمة، وجاءت الشرائع بالحث عليها، وكثرة التَّزوُّد منها، وجميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا أعظم الناس أخلاقًا، وكان أصحابهم تبعًا لهم على قسطٍ وافر من حميد الأخلاق وطيبها، ومن قرأ في كتب الفضائل -بل في كتب التفسير- وجدَ أنَّ للأخلاق نصيبًا وافرًا.

- وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» يدل على أنَّ الجاهليين كان عندهم أخلاقًا حميدة، وتلوثت أمورًا بأخلاق غير حميدة، فجاء الإسلام ليُصحح الخطأ ويُتمم النقص في الأخلاق.

◆ منزلة الأخلاق في الإسلام.

[١] السنن الكبرى للبيهقي (٢٠١٧٤)، حسنه ابن باز في مجموع الفتاوى (٢/٢١٥).

- قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال بعض أئمة الشافعية -عليهم رحمة الله: "وتعظيم العظماء للشيء يدل على توغُّله في العظمة".

- فمدح الله -عزَّ وجلَّ- نبيه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- بأن أخلاقه عظيمة، ومن المعلوم أن الله تعالى إذا مدح نبيًّا فهذه الخُلة في جميع الأنبياء، وأولى الناس باتّباعها هم أتباع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

- أيضًا الأخلاق عبادة، وقد يخفى على بعض الناس هذا المفهوم، فهذا يُصلِّي ويتعبَّد لله -جل وعلا- وذاك يصوم يتعبَّد الله تعالى، وذاك يتصدَّق يتعبَّد الله، وصاحب الأخلاق الحسنة يتعبَّد الله تعالى، حتى قال بعض الشُّراح: لو أن رجلًا يقوم الليل ويصوم النهار، لكن أخلاقه سيئة، وآخر أخلاقه حسنة في أفعاله وأقواله وجميع شؤونه ولكنه لا يقوم الليل، فهو يُؤدي الفرائض في الصلاة والصيام، ولكن لا يصوم تطوعًا؛ فهذا أفضل ممَّن ساءت أخلاقه وقام ليله وساءت أخلاقه؛ لأنَّ صيام النهار تطوعًا وقيام الليل مرده ونفعه إلى صاحبه، أما الأخلاق الحسنة فيتعدَّى نفعها، ولهذا قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «إنَّ المُؤمِنَ ليُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصَّائمِ القائمِ»[٢].

- ومن فضل الأخلاق: قوله -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا»[٣]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤمِنِ يَومَ القِيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[٤].

🔷 **كان عند أهل الجاهليَّة أخلاق أقرَّ الإسلام بعضها، ونفى بعضها، فلو تحدثونا ببعض ما أقره الإسلام؟.**

- لا شكَّ أن كتب التاريخ والحضارات تشهد أنَّ لأهل الجاهلية أخلاق ومروآت جاء الإسلام بإقرارها، مثل نبذ الكذب وذمِّه، فأتى الشَّرع بذم الكذب فهو مُستقبح في الأعراف، ومُستقبح في النفوس الزَّكيَّة وفي الفِطَر السَّليمة؛ فجاء الإسلام بذمِّه وتقبيحه؛ لأنَّ الإسلام لا يأتي إلا بكل خير، وما يُوافق العقول المستقيمة والفِطَر السليمة.

- ولَمَّا قابل أبو سفيان هرقل، فقدَّمه هرقل وأرجعَ أصحابه وراءه، وهذا من دهاء هرقل ومن فراسته -كما قال الشُّراح- فسأل أبا سفيان أسئلة وقومه خلفه، وكان يسأله ثم ينظر إلى مَن خلفه بعد جوابه، وهذه لغة العيون -كما يقولون- فإن تغيَّرت أعينهم علم أن هذا الجواب فيه كذب، فسأل هرقل أبا سفيان مسألة فأجابه، ثم قال: "فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ".

☑ **أيضًا من خصال أهل الجاهلية التي أقرها الإسلام وحثَّ عليها: الوفاء بالعهد.**

---

[٢] سنن أبي داود (٤٧٩٨)، معجم الطبراني الأوسط (٦/٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

[٣] سنن الترمذي (٢٠١٨)، صحيح ابن حبان (٤٨٢)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩١).

[٤] أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) واللفظ له، والترمذي (٢٠٠٢) مطولاً، وأحمد (٢٧٥١٧)، صححه الألباني.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَرْبَعُ خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»[٥].

- وذكر الذهبي في "السِّيَر" في تجريد أسماء الصحابة عن عوف بن نعمان الأشجعي أنهم كانوا في الجاهليَّة لأن يموت الرجل عطشًا أحب إليه من أن يُخلف وعده.

- فكونه يُقال إن فلانًا أخلف وعده؛ فهذه مذمَّة ونقص عند أهل المروآت وعند الرجال، وجاء الإسلام فحث على الوفاء بالعهد.

◆ **بعض الناس اليوم يغتر بأخلاق الكفار المعاصرين. فما سبب هذا؟.**

- الخُلق الحسن محمود من كل أحدٍ بغضّ النَّظرِ عن ديانته، لكن عزو ذلك إلى عاداتهم أو إلى طبيعتهم فلا، ويُقال: إن الإسلام قد جاء بكل خلقٍ حسنٍ، والخلل فيما أخلَّ به من المسلمين، ولهذا لن تجد خُلقًا حسنًا محمودًا فيه مصالح وليس فيه مضارّ إلَّا وقد حثَّ الإسلام عليه.

- الإعجاب بأخلاق غير المسلمين من الفهم الخاطئ؛ لأنَّ كل ما في الوجود من الأخلاق الحسنة فقد حثَّت عليه الديانات كلها، وأعظمها دين الإسلام.

- وعلى كل حال؛ فإنَّ مَن أُعجِبَ بخصال غير المسلمين يُقال له: الخلل فيمن ترك الخصال من المسلمين، ويُمدَح من لزمها من غير المسلمين.

- ويُقال: إنَّ كل خلق حسن حميد تجد ذكره في الإسلام إمَّا نصًّا أو تضمُّنًا أو التزامًا.

☑ **ومن أخلاق الجاهلية التي حثَّ عليها الإسلام وأمر بلزومها: حق الجوار.**

- والإسلام عُنِيَ بحق الجوار، قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ»[٦]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ» قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ»[٧]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «ما زالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ»[٨]. وقال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء:٣٦].

- **والجيران على أقسامٍ ثلاثة في الإسلام:**

  ❖ **القسم الأول:** جارٌ له حق واحدٌ، وهو الجار غير المسلم، وله حق الجوار.

  ❖ **القسم الثاني:** جار له حقَّان، وهو الجار المسلم، فله حق الجوار وله حق الإسلام.

---

[٥] صحيح البخاري (٣٠٠٧).
[٦] أخرجه البخاري (٦٠١٨) واللفظ له، ومسلم (٤٧).
[٧] صحيح البخاري (٦٠١٦).
[٨] صحيح البخاري (٦٠١٥).

❖ القسم الثالث: جار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم القريب، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة.

- ويُرى الآن -مع الأسف- بعض الناس لا يكلِّم جاره، مجافٍ لجاره، ولا يُجب دعوته، ولا يدعوه، والسبب خلاف في موقف سيَّارة، أو خلاف بين أولاد صغار، وهذا لا شك أن الإسلام يأباه.

☑ **من الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام وكانت معتبرة عند أهل الجاهلية: الكرم.**

- ويُقال في هذا المقام: إنَّ أكرم الناس هم الأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-. فأول مَنْ ضَيَّفَ الضيف هو إبراهيم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

- وممَّن عُرف بالكرم في الجاهلية: حاتم الطائي، وإلى هذه الساعة إذا ذكر الكرم ذكر حاتم، حتى ضربت العرب المثل بحاتم، فقيل "أكرم من حاتم".

- ولما جاء وفدٌ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال لهم: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟» قالوا: جُدُّ ابْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ!»[٩]، وفي بعض الألفاظ أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أمر بتأمير غيره.

- فالكرم محمود، ومن قرأ في سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- علم أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان أكرم الناس مع فقره وزهده.

🔷 **يُقال من أنواع الكرم: كرم النفس. فما هو؟.**

- كرم النفس هو الإيثار والتَّنازل عن حظّ النفس، وهذه مناقب عظيمة؛ بل قد يكون هذا أكرم من صاحب المال، فدفع المال قد يكون سهلًا، لكن كظم الغيظ والعفو عن المسيء؛ بل والتَّحبُّب إلى من أخطأ عليه -إذا كان فيه مصلحة- لا شكَّ أنَّه من كرم النفس.

- أعطيك مثالًا حصل أمامي: أحدهم قدح في شخص، فنبه هذا الشخص أنه قدح وطعن في رجل وأنت لا تعرفه ولم تجتمع به، ولكن مجرد أن سمعتَ قال فلان...، وقال فلان...!

فندم هذا الرجل لما نصحه أحد الفضلاء، وقال: ماذا أفعل. فقيل له: تحلل منه.

- **ويرى أهل العلم أن التحلل على قسمين:**

✹ الأول: يكفي الدعاء لمن اغتبته والاستغفار له، وفيه حديث وإن كان فيه ضعف لكن ذكره أهل العلم «كفَّارةِ الغيبةِ أن تستغفِرَ لِمَن اغتبتَهُ»[١٠].

---

[٩] الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الألباني.

[١٠] ضعفه السيوطي في الدر المنثور (٥٨١/١٣).

- **الثاني:** أن تذهب إليه وتقول له: أنا فعلتُ كذا وكذا، وحلِّلني. وهذا يراه الشافعية وشيخ الإسلام ابن تيمية.
- وفيه قول وسط: إذا علمت أن صاحبك سيأنس ويعفو عنك ويدعو لك فاذهب، وإلا فلا.

☑ **أيضًا من خصال أهل الجاهليَّة: تفضيل جهة اليمين.**

- الآن بعض الناس يأكل بالشمال، ويشرب بالشمال، ويعطي بالشمال، ويأخذ بالشمال، وفي الحديث قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: **«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»**[١١].
- كان -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- يُحبُّ التَّيمُّنَ في شأنه كله، والآن ممَّا يؤسَف له أنَّك ترى بعض الناس يأكل بالشمال، ويشرب بالشمال، وهنا يُنبَّه فقد يكون ناسيًا؛ لأنه قد يظن بعض مَن جلس معه أن هذا هو الأصل.

☑ **ومن الخصال: توقير الكبير.**

- وتوقير الكبير حث عليه الإسلام، وكانوا في الجاهلية يوقرون الكبير ويوقرونه، حتى أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لما أتى أبو بكر بأبيه، وكان له مقام كبير عندهم، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ»**[١٢]، فأبو بكر يعرف منزلة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ومنزلة والده -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه.
- ومما يُنبَّه عليه في مسألة توقير الكبير: أن من الخلق الغير لائقة أن يُقاطَع الكبير في كلامه في المجلس، فإذا تكلم الكبير تجد بعض الناس ينشغل بالجوال، والأولى الإنصات في المجلس لأي إنسان يتكلم في المجلس، ولو كان كبير فهو أحق بالتوقير، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»**[١٣]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ»**[١٤]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- لما أراد أن يتكلم اثنان أحدهما كبير والآخر صغير: **«كَبِّرْ كَبِّرْ»**[١٥].

◆ البداءة بالتسليم في المجالس هل تكون للكبار أو باليمين؟.

- هذه مسألة لأهل العلم فيها أكثر من رأي، فمنهم من يقول: إذا دخل المجلس، وكان المجلس مليء فيكتفي بالسلام الشَّفهي ثم يجلس، ورُويَ أنَّه كان إذا دخل الصَّحابي سلَّم وجلس حتَّى ينتهي به المجلس، وهذا فيه

---

[١١] مسلم (٢٠٢٠)

[١٢] مسند أحمد (٢٦٤١٦).

[١٣] مسند أحمد (٢٧٨٢٣)، صححه الألباني.

[١٤] أخرجه ابن حبان (٥٥٩)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨٩٩١)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٧٧/٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٨٤).

[١٥] صحيح البخاري (٣١٧٣)، صحيح مسلم (١٦٦٩).

إراحة للجالسين؛ لأن في بعض الأحايين يدخل بعض الناس ويبدأ باليمين، فالكبير يقوم...، ثم يقطع الكلام، فيُقال له: سلِّم واجلس، ولكن جرى العرف الآن على السلام، فإذا دخل الإنسان فإن البدء بالكبير لعله يكون أولى، وبخاصَّة أن بعض الكبار قد يقع في نفسه شيء، وبخاصَّة أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- شفع لهم «ابْدَءُوا بِالْكَبِيرِ، أَوْ بِالْأَكَابِرِ»[١٦]، وقوله: «كَبِّرْ كَبِّرْ»، وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا سقى قال: «ابْدَءُوا بِالْكَبِيرِ، أَوْ بِالْأَكَابِرِ»، فللكبير حظٌّ من التقديم والتوقير والتسليم.

◆ بعض الشباب يحتج بعدم الإنصات للكبار لكون يستأثر بالمجلس. فما توجيهم؟.

- يُقال: إن استئثاره بالمجلس يشفع له لكبر سنه، ويشفع له أن من حقه التقديم، ويشفع له أن من حقه التوقير، اللهم إلا إذا كان يخوض في كلام فيه محظور شرعي، ولكن هذا الكبير إن استأثرَ وكان كلامه نافعًا فلا يتكلم، ولكن القبيح أن يستأثر الصغير بالكلام، وفيهم من قد اشتعلت رؤوسهم شيبًا، ويريدون أن يكون لهم حظ من الكلام، ولكن هذا استأثر!

- فيُقال: دع الكبير يتكلم، فبعض كبار السن ولو كان عامِّيًا يسرد من الحكايات والقصص ما فيه عبر، وهذا نراه، مع أن كبار السِّن ما درسوا بلاغة ولا درسوا لغة، ولا درسوا بديع المعاني؛ إلا أنَّهم إذا سردَ أحدهم قصَّة تستمتع.

- كل مسلم مأمور بأن يتحلَّى بالأخلاق، لكن الأئمة وأهل الوظائف الشرعية، والمشايخ، وطلاب العلم والخطباء؛ فهؤلاء أولى الناس، لأنهم في موضع القدوة والأسوة عند الناس، وهؤلاء خطؤهم مضاعف، يعني شخص ليس له وظيفة شرعيَّة لاشك أن خطأ قد يون أقل من خطأ من يتسنَّم منصبًا شرعيًّا؛ وإلَّا فكل مسلم، التاجر والوزير والصغير والكبير؛ كلهم مأمورون بالأخلاق الحسنة. فلو أن رجلًا عاميًّا أخطأ فإنه يُذم على خطئه ولا يُقر، ولكن إذا أخطأ إمام مسجد فإن النقد يزيد عليه، فلو اختصم الإمام مع أحد تجد أن ذمَّ الناس للإمام أكثر، لأنه في موضع القدوة، لأنه يصلي بالناس، ولو اختصم طالب وأستاذ في المدرسة وتلاسنا؛ فيُقال لهذا الطالب أنت مُخطئ، ولكن أن أيها الأستاذ لا تجاري الطالب الصغير في سفهه، فالحق عليك أكبر، فأولى الناس بالأخلاق الحسنة هم أهل المناصب الشرعية، وإلا فإنَّ التاجر مأمور بالأخلاق الحسنة، والإسلام قد انتشر في جزر الهند وفي غيرها بأخلاق التُّجَّار، وكل إنسان، الرياضي، والصحفي، والموظف أيًّا كانت وظيفته، والطبيب؛ كلهم مأمورون بالأخلاق الحسنة.

◆ بعض الناس يقول: أجد صعوبة في التَّحلِّي بالأخلاق. فما السبيل؟.

- هناك فيلسوف هندي يقول: "إن الأخلاق جبلة"، بمعنى: أن الشخص يولَد كالحمل الوديع أو كالسبع المفترس، ولا تتغير أخلاقه. وهذا كلام باطل بالشرع والعقل والمشاهدة.

---

[١٦] المعجم الأوسط للطبراني (٣٧٩٨)، البيهقي في شعب الإيمان (٣٥١٧/٧).

- قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: **«إنَّما العِلْمُ بالتَّعلُّمِ وإنَّما الحِلْمُ بالتَّحلُّمِ مَن يتحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ ومَن يتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»**[17]، فهذا يهد نظرية أن الأخلاق جبلة، فالإسلام حث على ترويض النفس، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْه اللهُ، ومَن يَستَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّه اللهُ»**[18].

➢ **فأولًا:** يدعو الإنسان ربه أن يهبه أخلاقًا حسنة، وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: **«وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»**[19].

➢ **وثانيًا:** أن يُجاهد نفسه في ترك السلبيات من الخصال والأخلاق، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: ٦٩]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: **«أَفْضَلُ الْجِهَادِ أَنْ يُجَاهِدَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ»**[20]، أما حديث **«رَجَعْنَا مِنْ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»** لا يصح، وذكر ابن حجر أنه من قول إبراهيم بن أبي عبلة.

➢ **ثالثًا:** أن يُصاحب أهل الأخلاق الحسنة، وترى في بعض الأصحاب إذا ماشيته أو زارك أو زرتَه أمورًا في صورته وأخلاقه تغبطه عليها، ترى له سمتًا في الجلوس، سمتًا في الحديث، حسن اختيار الألفاظ، حسن التعامل مع الآخرين، فهذا مرآةٌ لك، انظر إلى الأخطاء التي في نفسك وعالجها، أما أن تصاحب -أو تُزامل- أناسًا يُردونَك؛ فلا شكَّ أن هذا غبنٌ وخسارٌ.

➢ **رابعًا:** يقرأ الإنسان عن فضل الأخلاق الحسنة، وأثرها على صاحبها، وفي المقابل أثر الأخلاق السيئة على صاحبها، وكلما أخلص الإنسان في الدعاء وجاهد نفسه وتخلَّقَ وروَّض نفسه، وعلم الله منه صدق النيَّة وطيب الطَّويَّة؛ سيرى من الله ما يُطمئن قلبه ويشرح صدره ويُقر عينه، وسيرزقه الله تعالى بحسن الأخلاق.

◆ **كيف يتعامل صاحب الأخلاق الجيدة مع صاحب الأخلاق السيئة إذا أخطأ عليه؟.**

- الأخلاق الحسنة تجعل صاحب الأخلاق السيئة إما أن يكفَّ عن أخلاقه السيئة، أو يرجع إلى الأخلاق الحسنة؛ فلا تُجاري السفيه على سفهه، فربنا أدبنا بقوله: **﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾** [الفرقان: ٧٢]، وقال: **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾** [الفرقان:٦٣].

- فصاحب الأخلاق السيئة قد يكون عصبيَّ المزاجِ أو منفعلًا، وقد يؤذيك في الحقيقة، لكن من رزقه الله أخلاقًا حسنة ومنَّ عليه بخصالٍ حميدة فينبغي أن يُقابل تلك الإساءة بإحسان، وبعض الناس تجد عنده هدوء وبرود، فإذا رأى العصبي تبسَّم أمامه، فهذا يزيد غضبه!

---

[17] المعجم الأوسط للطبراني (٣/١١٨)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٢٨).
[18] أخرجه أحمد (١١٠٩١) واللفظ له، وابن حبان (٣٣٩٩)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٩٠٤٦).
[19] صحيح مسلم (٧٧١).
[20] أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٢/٢٤٩)، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٩٩).

☑ ومن الأخلاق عند الجاهليين: عدم الترويع.

- فهم يرونها مذمَّة وقدحًا في المروءة، وخاصة ترويع الناس، ولهذا لَمَّا قيل لأبي جهل أن يقتحم بيت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في الليل. فقال: يعيرني العرب أني روعت بنات محمد!
- والآن -مع الأسف- بعض الناس لا يُبالي بترويع المرأة، أو الصغير، أو الكبير، أو الجار، وما يُسمَّى الآن بالكاميرا الخفيَّة؛ بعضها قد يكون فيه مندوحة، ولكن بعضها قد يزيغ عقل الإنسان، وقد تحصل عداوة ومشاكل، وهذا لا يليق.
- وينبغي أن يُعلَم أن من الترويع أن يأخذ متاع أخيه، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: «لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا»[٢١]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لا تُرَوِّعُوا الْمُسْلِمَ، فَإِنَّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ»[٢٢]، وعند أبي داود نهى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن ترويع المسلم.

☑ ومن الخصال: حفظ الأمانة.

- فكانوا في الجاهلية أن يفقد الرجل نفسه ولا يضيع أمانته، وربنا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وبعض الناس في الأمانة لا يُبالي فيها، ولا شك أن هذا مذمَّة وخصلة قدحٍ.

◆ هل من نصيحةٍ في ختام هذه الحلقة؟.

- <u>النصيحة لنفسي أولًا، ولكل من يسمع أو يرى أو يحضر: أن يدعو العبدُ ربَّه أن يرزقه الأخلاق الحسنة، وأن يستفيد من أخلاق أهل المروآت، وأن يحرص على مجالستهم وعلى التعرف عليهم، وأن يقرأ في أخبار الأنبياء وأخبار الصحابة ليرى عظيم حسن أخلاقهم، وحتى في أخبار تاريخ الجاهليَّة يقرأ أخبار العرب وغير العرب من أخلاق كانت فيهم حميدة، وخصال وشيم ومروآت؛ فهذه تشحذ الهمم زيادة على ما قبلها.</u>

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

[٢١] سنن أبي داود (٥٠٠٣)، حسنه الألباني في صحيح أبي داود.

[٢٢] ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٢٤٧).

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

الآداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس الثانى



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- في هذه الحلقة -بإذن الله- يتحدث فضيلة الشيخ عن التناقض في الأخلاق.

◆ فضيلة الشيخ لو تعطينا توطئة عن التناقض في الأخلاق}.

- أولًا: كلمة التناقض وردت في سورة النحل، في قوله -جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، ذكر بعض المفسرين أنَّ الآية نزلت في امرأة من قريش، كانت تغزل طول النهار، فإذا أمست نقضت غزلها، ثم تعود مرَّة أخرى في اليوم الثاني، وهلمَّ جرًّا...، وتستمر في بناءٍ وهدمٍ، وبناءٍ وهدمٍ، وهلمَّ جرًّا...، فلا هي بعدُ انقطعت ولا هي انبتَّت!
- فالتناقض من التَّضاد، وهو أن يقول قولًا ويفعل خلافه، أو أن يقول ما لا يفعل، أو أن يفعل ما لا يَقُول.
- وقيل: إنَّ التَّناقض تارة يكون في الأقوال، وتارة يكون في الأفعال.
- الأفعال كما تقدَّمَ من فعل المرأة هذه، والأقوال مثل ما كان بيَّن الجرير والفرزدق بما يسمى بالنَّقائض، هذا يهجوه وهذا يرد عليه، وهذا يذكر أشياءً له وهذا يهدمها، ومَرَدُّ هذا في كتب اللسان العربي.

◆ **بعض الناس يهتم بأمور وغيرها أولى منها. فما توجيهكم؟.**

- هذه من صور التناقض، وقد قيَّدتُّ هنا عندي بعض النقاط، منها:

✹ **من التناقضات:** أن ترى رجلًا يهتم بالذهاب إلى الدوام مبكِّرًا، وهذا محمودٌ في براءة الذِّمَّة، وفي أداء الأمانة، ويُشكر على هذا الفعل؛ إلَّا أنَّ التناقض هو أن يتأخَّر عن الذهاب إلى الجمعة والجماعة، فحرصه في ذهابه إلى وظيفته أمرٌ محمودٌ ومشكورٌ، وكما تقدم هو براءةٌ لذمَّته، وحلٌّ لمرتبه وأداءٌ لمسؤولياته، لكن التناقض أنَّ هذا الحرص يتلاشى في مسألة الفريضة كالجمعة والجماعة، يذهب مُتأخرًا، تفوته ركعة أو أكثر، أو تفوته الصلاة كلها ولا يُبالي، وكان الأولى أن يكون التبكير سِمَةً دائمةً له فيما يتعلق بأمور دينه ودنياه.

◆ **لو ذكرتم لنا بعضًا من صور التَّناقض؟.**

✹ **ومن التناقضات:** تجد بعض الناس إذا دُعِيَ إلى وليمة، أو إذا دعا ناسًا إلى وليمة؛ يلبس الثياب الحسنة، وتطيَّب بالطيب والرَّائحة العطرة، ويتحفَّظ في شخصيته من حيث اللِّباس، كالحذاء والثَّوب والشِّماغ وما يتبعه، وكل بلدٍ بحسب لباسهم؛ وهذا اللباس والتَّزيُّن محمود، والإسلام حثَّ على التَّزيُّن، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»[٢٣]، لكن هذا التَّزيُّن يتلاشى في ذهابه إلى المسجد، يذهب بثياب رثَّة، يستحيل أن يذهب إلى وليمةٍ بهذا اللباس الذي يأتي به المسجد.

- فالتَّزيُّن للذهاب للولائم بثياب وتلاشي هذا في الذهاب للمسجد؛ فهذا من التناقض، ولهذا فإنَّ ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- نبَّه أحد غلمانه إلى هذا التَّناقض الذي وقع فيه هذا الغلام، فقد رأى ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- غلامًا لا يصلِّي إلا في ثياب رثَّة، وكان من فقه ابن عمر أنه ما أنكرَ عليه، وإنما سأله استفهامًا، ومن أبلغ الإقناع أن تجعل الشخص يسأل نفسه ويُجيب على نفسه بخلاف ما يفعل حتى يتأدب؛ فقال له ابن عمر: لو دعاك أحد عِليَة القوم، كيف تأتيه؟

فقال الغلام: ألبسُ حُلَّتي، وأرجل جمَّتي.

قال ابن عمر: فالله أحق أن تتزين له.

◆ **بعض الناس يقول: المسجد نذهب له خمس مرات في اليوم؛ وبالتالي أتجمل ولكن ليس كالتَّجمُّل الذي يكون لمناسبة مرة في الشهر.**

- هذا سؤال طيب، الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان يلبس في العيد لباسًا أميز من لباسه في سائر الصلوات، فلا مانع من هذا، ولكن يُقال: تجنَّب الثياب الرثَّة، والملابس البالية المتَّسخة، ولا تأتي المسجد بثياب متَّسخة

---

[٢٣] صحيح مسلم (١٣١).

وفيها رائحة نتنة في البدن أو الثياب! ولا يُقال له: تزيَّن لكل صلاة، ولا شكَّ أن هذا كمال، ولكن المهم أن تذهب بثياب فيها تزيُّن للصلاة؛ لأنَّك تقف أمام رب العالمين، ولا يلزم أن تلبس كما تلبس في العيد، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان لباسه في الجمعة يختلف عن سائر الصلوات، ولباسه في العيد يختلف.

◆ **بعضهم يقول: هذه اللبسة وإن كانت رثَّة إلَّا أن الناس اعتادوها في المساجد.**

- يُقال: إنَّ اعتياد الناس على شيءٍ رغَّبَ الشَّارعُ في غيره يُنظَر فيه إلى مراد الشَّارع، فالشَّارع عُني بالتَّزيُّن وحثَّ عليه، ورغب فيه، ورتَّبَ عليه أجورًا، وهذا اللباس لا يليق، أحيانًا واحد بلباس متعرِّق وفيه رائحة، أو لباس ممزَّق، حتى إن بعض المصلين ينتقد هذا اللباس، مع أن بيته قريب، أما لو قُدِّر أن بيته بعض أو حصلَ له عارض فهذا معذور، ولكن العتَب على مَن يخرج من بيته بثياب رثَّة ولا يُكلفه التغيير دقائق!

- فإذا اعتاد الناس على ثياب عاديَّة فلا بأس، أما أن يأتي المصلي بثياب رثَّة أو ممزَّقة أو فيها روائح؛ فإنَّ هذا تأباه الطباع والأعراف السليمة، فضلًا عن الشرع.

✸ **ومن التناقضات:** أنَّ بعض الناس إذا أقام وليمة؛ فمن كرمه وحسن أخلاقه يتقصَّد الجيران إما مهاتفةً أو مشافهةً أو مكاتبةً، يعني يُرسل لهم رسائل صوتيَّة، أو كتابيَّة، أو يذهب إلى بيوتهم يدعوهم إلى وليمته، وهذا دليل على الشِّيَم والأخلاق والأدب، وقد يجد بعض الناس مقصرًا في الصلاة أو تاركًا للصلاة، هو أحسنَ في دعوته ترغيبًا له ومن باب توثيق أواصر الجوار والمحبَّة بينهم، ولكن تجد أن هذا الحريص يعرف أنَّ زيدًا من الجيران لا يصلي أو يتخلَّف، وقد يكون بعض نساء الحي اشتكت لبعض رجال الحي أن يُناصحون أزواجهم أو أولادهم، ومع ذلك لم يُحرِّك ساكنًا مع هذا الرجل، فربما كلمة منه له لحثِّه عن الصلاة، أو رسالة صوتية أو كتابيَّة أو مقابلَة تُغيِّر تاريخ حياته، ولكن بعض الناس لا يُعرِّج على الكلام، لا تصريةً ولا تلميحًا؛ فهذا من التَّناقض.

- فيُقال لهذا الشخص الدَّاعي: أثابكَ الله على دعوتهم، ولكن إصلاحكَ بينهما أفضل من دعوتكَ لهما وأكثر نفعًا.

✸ **ومن التناقضات:** بعض الأُسَر تأتي بخادمٍ أو خادمة، ولا يتأخَّرون عن دفع مستحقاتهم، ولا يقصِّرون في الإهداء لهم في الأعياد وما شاكلها، أو إهداؤهم بعض اللباس والطعام في المناسبات، ويهتمُّون بمراعاة مشاعر الخادم؛ بل لو أنَّ أحد الصغَّار تكلَّم عن خادم لعاتبوه، وهذا لا شكَّ من مراعاة حقوق الآخرين، ولكن التَّناقض أن يكون ذلك الخادم -أو الخادمة- في عقيدته بدع أو قوادح عقدية في ديانته، أو غير مسلم.

◆ **بعضهم يقول: أنا أدعو هذا الخادم بالأخلاق.**

- الأخلاق جزء وليست الكل، أحيانًا يستفيد الخادم من أخلاق رب البيت، ولا شك أن هذا طيب، ولكن لا يكفي، هؤلاء فيهم في الغالب طيبة، إذا أحسن رب البيت التصرف مع هؤلاء ففي الغالب لا يكون بينه وبين

الإسلام إلا شعرة، فإذا دُعوا وعُلِّموا أسلموا، وفي بيوت كثيرة -والحمد لله- أثمرَت أخلاقها وتعاملها ودعوتها إلى إسلام الكثير.

◆ **هل مثل هذا يتعلق بذمة رب البيت أو ربَّة البيت؟.**

- نعم، خاصَّة الآن إذا اعتذر رب البيت وقال ما عندي لغة، أو ما عندي علم شرعي، أو ما عندي أسلوب في عرض الإسلام؛ فيُقال: أنت مكفي، فالتَّقنيَّة قرَّبت البعيد، ويسَّرت العسير، وجمعت المتفرق بفضل الله تعالى، ومكاتب الجاليات منتشرة والحمد لله في البلد، فما لك عذر الآن، فبفضل الله بعض مكاتب الجاليات -كما بلغني- يمرون على البيوت بحافلة، ويأخذون الخدم والخادمات إلى المكاتب، وهناك قاعات فيها مترجمون؛ فالحجة قائمة ولا إشكال.

ومن التناقضات: أن ترى بعض الموظَّفين في وظيفته يعبث في الأموال العامَّة، مثلًا عنده في المكتب بعض الأوراق خاصَّة بالعمل، يعبث فيها، يمزِّق فيها، يأخذ منها شيء لبيته، أو يخرج من مكتبه ويغلق والمكيِّف شغَّال إلى دوام الغد!

- إذا دخل دورات مياه المكتب يعبث ويسرف في المياه إلى آخره، أو عدم الترفُّق بأجهزة المكتب من طابعات أو أجهز حاسب أو هواتف، لا يُبالي!

- بينما في بيته لو رأى أحد أولاده يُبذر في الماء نهره وزجره، ولو رأى أحد أولاده ما أغلق الكهرباء أمره بالرجوع؛ بينما ترى هذا الشخص يخرج من مكتبه ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات وكل شيء شغال.

ومن التناقضات: أنَّ بعض الناس إذا قلت له: اجعل لك حظًّا من التِّلاوة يتثاقل، بينما يجلس على النت ساعات طويلة لا يمل ولا يكل!

- الآن أنت تجلس ساعتين أو ثلاث ساعات أو أربع ساعات؛ وأذكر في بعض مواسم الحج كان شابًّا يقول لي: أمه تشتكي من أخيه أنَّه إذا أتى من الدَّوام دخل غرفته وجلس فيها على الإنترنت إلى آخر الليل، لا يقطع الإنترنت إلا عند النوم، حتى الغداء والعشاء يأخذه من تحت الباب، يجلس ساعات طويلة، ماذا يرى وماذا يسمع؟ هذا بينه وبين رب العالمين!

- فهذه الساعات الطويلة تجلسها مستمتعًا بالإنترنت، حتى الأذكار تجد أن بعضهم يتثاقل أذكار الصباح والمساء، مع أنها لا تأخذ إلا دقائق، وهي أذكار فيها تحصينٌ.

- ومن لطيف كلام الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أنه قال: "الأذكار الشرعيَّة تُحصِّن صاحبها أقوى من سور الصين العظيم".

- تقول له: اقرأ، يقول: أنا لا أسمع القرآن إلَّا في الصلاة أو في المذياع، ولا أقرأ إلَّا في رمضان، أو يقول: لا أجدُ وقتًا! فهذا لاشكَّ أنه من التناقض، ومن التَّكاسُل، ومن التَّخاذُل.

- وأقول لنفسي ولمن أدمن تصفُّح الإنترنت: إذا فرغت من الإنترنت فاسأل نفسكَ ثلاثة أسئلة:
  - **هل سلم بصرك من الحرام؟**
  - **هل سلم سمعك من الحرام؟**
  - **هل الفائدة المتحصلة من جلوسك يُعادل الوقت المبذول في جلوسك على النت؟**

ومن التناقضات: الدُّعاء للأولاد في الصلاة.

- ترى هذا الوالد يقول في صلاته: رب اغفر لي ولوالدي، وأصلح لي ذريتي.
- ولا شكَّ أن الدعاء للأولاد مطلوب، فقد جاء في الحديث: **«ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»**[24]، وفي لفظ **«وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»**[25]، يعني إمَّا نعمة أو نقمة.
- ولكن الإشكال أنَّ هذا الوالد الذي يدعو لأولاده أو الأم، إذا أخطأ الولد لعنه وشتمه!
- وكذلك الدُّعاء عليهم قد يُستجاب، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»**[26]، وقد حصل كما قُرِئ وسُمع أن هناك مَن دعا على ولده فأجاب الله دعاءه.

بعض الأمهات والآباء يقولون: ما يشفي غليلي إلا الدَّعاء على الابن.

- يُقال لهم: هذا يشفي الغليل وفيه معصية للرحيم، وطاعة للرجيم، وشفاء الغليل ينبغي أن يكون موظَّفًا بآداب الشرع، ولو كل إنسان حكَّم هذا المبدأ لأصبحت الشريعة عبثًا، كل إنسان سيفعل ما يشفي غليله!
- ويُقال: وطِّن نفسكَ على ما يحبه الله ويرضاه، وفي الشرع أساليب العتاب.
- فائدة ذكرها بعض علماء المالكيَّة، يقولون: تأديب الولاد الصغار يكون بإخبارهم بالذنب قبل الضرب، وأن يكون الضرب والعقاب في مواضع لا تضر بدنه، وأن لا يُكثر التثريب واللوم عليهم بعدما يُعاقبه.
- والعلاج الناجح الذي يُصلح الولد هو ما أمر به الشرع وحثَّ عليه.

ومن التناقضات: جرأت بعض الناس على الفتيا الشرعية.

---

[24] رواه ابن ماجه (٣٨٦٢) وحسنه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٥٩٦).
[25] مسند أحمد (٧١٩٧).
[26] رواه مسلم (٣٠١٤).

- فإذا سُئل عن مسألة في الحج أو في الزكاة أو في الصيام؛ بعض الناس ما قال "لا" قط إلا في تشهده! وبخاصَّة في الفتاوى، يُفتي ولا يقول: "لا أعرف، ولا أدري"، وهو يعرف من نفسه أنه عامي وجاهل، ولكن يتجرَّأ في الفتاوى الشرعية!

- هذا الرجل مع أنه وقع في محذور شرعي؛ ولكن التَّناقض إذا ما أصابه مرض لا يُمكن أن يُفتي نفسه في العلاج، أو يقبل منكَ أو مِنّي أو من زيد أو من عمرو أن هذا العلاج ينفع لمرضك، بل يذهب إلى الطبيب ويسأل.

◆ **بعضهم يقول: إن هذا من باب المدارسة للفتيا.**

- هناك فرقٌ أن يكون واحد في جلسة فيقول: أنا عندي سؤال كذا وكذا، دخل رجل المسجد وفيه جماعة، والإمام في التشهد الأخير، فهل ينتظر أو يدخل. ماذا تقولون مع التعليل؟

- هذا ليس مقام فتيا، وإنما مقام شحذ الأذهان، فإذا أجاب وقال الصواب كذا وكذا، ولكن يحذرهم أن هذا فقط مقام مدارسة، وأنَّ الإنسان إذا كان من عامَّة الناس وسُئلَ على شيءٍ فلا يُجيب إلَّا أن يكون متوثّقًا، فإمَّا أن يتكلَّم بعلمٍ أو أن يصمت بحلمٍ.

◆ **{بعضهم يفتي ويعتقد في هذه الفتيا ويعمل بها، ويقول: إن الدين لله، ويجب على الجميع أن يتعلموه، أما الطب والهندسة وغيرها هي متعلقة بالدنيا}.**

- هذا ليس فقط جهل، إنما هو جهل مركَّب.

- والفرق بين الجهل البسيط والجهل المركَّب:

  - أن الجهل البسيط: يجهل ويعرف أنه جاهل.
  - والجهل المركب: يجهل ويدَّعي أنه عالم.

✸ **ومن التناقضات:** إذا ذهب بعضهم إلى الطبيب، وأمره الطبيب أو نهاه سلَّمَ لكلام الطبيب ولم يُناقشه، بل يحرص ويكتب، لا تأكل كذا ولا تشرب كذا...، فإذا جاء يسأل وقيل له الحكم الشرعي الواضح، فيُجادل! فهو لا يسأل من باب الاستفسار والاستيضاح، ولكن من باب التَّنطُّع وأن يُوجِد لنفسه أمرًا يوافق ما تهوى نفسه.

- والتسليم لأمر الشرع مطلوب ديانةً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

✸ **ومن التناقضات:** بعض الآباء والأمهات يستشعرون مسؤولية الأولاد في حالين:

☑ عند المرض.

☑ وعند الامتحانات الدراسية.

- فإذا شُفيَ الولد من مرضه، أو نجح في دراسته، فلا يهتم بصلاته ولا بأصحابه ولا بأخلاقه؛ فهذا لا شكَّ من التناقض، وكان الأولى أن تكون العناية للأولاد فيما يُصلح أمور دينهم ودنياهم.

✸ **ومن التناقضات:** بعض الناس يحفظ عشرات القصائد، وإذا جلس في المجلس كأنه الأصمعي في سرد المنظومات والأشعار، ويعطك القصيدة على أي بحر وقافية، ومَن قالها، وفي أي مكانٍ قيلَت، وسبب قولها، وهل هي هجاء أو رثاء، أو مدح، ومَن عرضها؛ تجده قاموس في الشعر.

- لا شكَّ أنَّ هذه موهبة، ولكن إذا قرأ قصار السور أخطأ فيها، وإذا سألته عن أذكار الصباح ما يعرف، أو عن أذكار المساء ما يعرف، أو عن أذكار النوم ما يعرف، أذكار دخول المنزل ما يعرف! اجعل حيّزًا يسيرًا لحفظ الأمور الشرعية.

✸ **ومن التناقض:** أن بعضهم يتضجَّر إذا تأخر في الإقامة دقائق.

- وهنا نقول لأئمة المساجد: ينبغي أن نحافظ على الإقامة التي وقَّتها الوزارة، الرُّباعيات عشرون دقيقة، والفجر خمس وعشرون، والمغرب عشر، إلَّا إذا كان فيه اتفاق بين الجماعة كلهم فهذا شيء آخر.

- فيُقال له: وطِّن نفسك، فإذا تأخر الإمام تأخرًا ملحوظًا تكلَّم، ولكن إذا تأخر دقيقة أو دقيقتان، وكان في مكان ليس للناس حاجة كسوق أو مطار أو مستشفى؛ فوطِّن نفسك كما توطِّن نفسك وتستلذ بالجلوس لساعات مع أصحابك، فأنت في مكان تصلي الملائكة عليك، واستغل وقتك في الدعاء والقراءة.

◆ **{بعضهم يحتج ويقول: إن هذا من عادة الإمام أن يتأخر}.**

- إذا كان من عادته حُقَّ له أن ينتقده، فلا ينبغي للإمام أن يتأخر دائمًا، وبعضهم لا يكون مشغولًا، ولكن لشيء في النفس، فلو تأخرت في المسجد ثلاث دقائق أو أربع تقرأ وتدعو وتستغفر؛ فهذا خير لك.

- وبعض الناس -ما شاء الله تبارك الله- لو لم يردوا السلام لقلتَ إنه لا يتكلم ولا يسمع، فيأتي المسجد ويقرأ، تتأخر ثلاث دقائق أو أربع وهو في مكانه، حتى لو كان وراءه شغل فإن هذه الدقائق لا تضر.

- ويُقال: إذا كان الإمام معتادًا؛ فينبغي له أن يتقيَّد بالوقت الأصلي، والناس ليسوا على مشاعر واحدة، بل يختلفون، فهناك الحساس وهناك من يتضايق وهناك الحليم.

✸ **من التناقضات:** الإنصات التام إذا كان في مجلس شاعر، تجد أن الجميع منصتون، بينما لو تكلَّم أحدٌ كلمةَ توجيهٍ بعضهم يتشاغل إمَّا بجوالٍ أو بأمر آخر، وهذا لا ينبغي!

- وتجد بعضهم يكون منصتًا بجوارحه، ويسمع القصيدة ويُحاول ألا يفوته أي حرف أو كلمة فيها، فيُقال: إن هذا من باب التزوُّد الثَّقافي الأدبي، وهذا لا مانع فيه، لكن إذا تكلَّم واعظٌ لدقائق فالأولى الإنصات والاستماع، وعدم الانشغال بالجوال، فهذا ممَّا يقلل من هيبة الرجل.

- **ومن التناقضات:** هناك ناس إذا دخلت بيوتهم كأنها متاحف، من كثرة التُّحف المتنوعة النفيسة الثمن، تحف تبقى سنين على الأدراج، هذه يدفعون فيها أموالًا طائلة، ولكن في الصدقة يُمسك!

- يُقال له: اشترِ تحفًا، فهذا من باب تزيين البيوت، ولكن أنفق يدك، وإلَّا فوالله لصدقة واحدة أفضل من كل التُّحف هذه تنفق فيها آلاف الريالات، فيُمسك يده عن الصدقة. فهذا من التناقض!

- **ومن التناقضات:** التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد وعدم التَّنازل عنها.

- وهنا يُقال: إذا كانت العادات والتَّقاليد لا تُخالف نصًّا شرعيًّا فالأصل مراعاة أعراف الناس وما يهواه الناس، كأن يكون عندنا عادة في الأكل كذا، أو عادة في الزوجات كذا؛ فما دام أنها لا تخالف نصًّا شرعيًّا، ولا تخالف مروءةً ولا فطرةً سويَّة؛ فلا حرج.

- والتناقض أنَّ هذا الشخص الذي يتمسَّك بالعادات ويحث الصغار عليها، ويُنكر على مَن خالفها؛ تجده يتبذَّل أو يتهاون في أمور واجبة شرعًا، ويتجرأ على المجاهرة بمصادمة النصوص، ليس في بيته فحسب بل أمام الناس.

- ولهذا ذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية عن ابن عقيل الحنبلي أنه قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "لو تمسَّكَ الناس بالشرعيات تمسكهم بالعادات لاستقامة لهم كثير من أمورهم".

هل من التناقض أن يأمر بعض الناس بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو قد ما يُطبِّق هذا الذي يقول؟ وهل هذا فيه إشكال بيّنٌ وواضح؟.

- يقولون في كتب الحسبة: الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على أقسام:
  - **الأول:** قسم يأمر ويمتثل الأمر بنفسه، وينهى ويترك ما نهى الناس عنه: فهذا هو الكمال.
  - **الثاني:** يأمر ولكن لا يمتثل، فهو أصابَ في الأمرِ، ولكن أثم في عدم الامتثال، وينهى الناس ولكن يقع في النهي، فهو أصاب في النهي، وأخطأ في الوقوع.
  - **الثالث:** قسم لا يأمر ولا ينهى أبدًا، ولكن في نفسه منضبط.
- شرهم مَن يأمر بالمنكر ويفعله، وينهى عن المعروف ولا يفعله.
- والذي يأمر بالمعروف ولا يفعله فهذا تناقض، ولكنه خير من الذي لا يأمر.

فإن قال قائل: أين أنتم من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢]؟

- هذه صفة ذم، ولكن أقبح منه مَن يأمر بالمنكر ويفعله، وينهى عن المعروف ويتركه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

الآداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

خوارم المروءة.

لو تعطونا توطئة عن خوارم المروءة؟.

- يُقال: هذا ستارٌ مخرومٌ -يعني مُخرَّق- وهذا ممَّا يعيب الستار.
  - ✓ وعُرِّفت المروءة عند بعض أهل العلم بالشيء المقبول، الطَّعام المريئ، أي: الطعام المقبول.
  - ✓ وعرفها آخرون بأنها: أخلاق نفسانيَّة تبعث على فعل الجميل وترك ما يستقبح.
- وخوارم المروءة مما يُكدِّر صفوها ما لا يُقبَل من الأقوال والأفعال.

هل من دليل على المروءة؟.

- وقفتُ على أثرٍ عن سفيان بن عيينة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أنَّه سُئل: استنبطتَّ من القرآن أشياء؟ فقال: المروءة، من قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، يدل على أخذ كل ما هو

حسن، وترك ما هو مُستقبح، ومجانبة مَن لم يأخذ بالأحسن، أو مَن كان من طبعه القبائح وما شاكلها، وكل نصوص الشريعة التي تحث على الأخلاق وتنهى عن الرَّذائل هي من أدلة المروءة.

◆ **ما هو ضابط المروءة؟.**

- ذكر بعضهم أنَّ من ضوابط المروءة: ما يسلم صاحبه من نقد الناس في تصرفاته القوليَّة والفعليَّة ما لم تُخالف نصًّا شرعيًّا، فهناك أشياء ينتقد الناس مَن فعلها أو مَن قالها، وستأتي أمثلة لهذه الأشياء.
- وهذه الأشياء لم يوجبها الشَّرع، ومَن فعلها أحسنَ، ومَن تركها أو خالفها قد يُنتَقد، وهناك أشياء لو فعلها الإنسان لا يأثم، ولكنها عند الناس مُستهجنة، ومراعاة مشاعر الناس مطلَب شرعي ما لم تُخالف مشاعرهم نصًّا شرعيًّا.

◆ **لو تذكرون لنا بعض صور خوارم المروءة؟.**

- **من صور خوارم المروءة:**

❖ **الصورة الأولى من خوارم المروءة:**

- التعرُّض لمواطن الرِّيبة.

مثلًا: مكان لا يُحمَد المُتَردِّد عليه، بل يُنتقَد ويُذم، وقد يُقدَح في عدالته، ولهذا قال بعض السلف -رحمة الله عليهم: "مَن عرَّض نفسه لمواقع التُّهم فاتَّهموه". فينبغي للإنسان البُعد عن مثل هذه المواقع، وإزالة الشُّكوك عن نفسه، وعدم التَّعرُّض لمواطن الرِّيبة؛ بل إذا قُدِّرَ أنَّ أحدًا رآه فينبغي أن يُبادر بإخباره عن سبب مجيئه وحضوره حتَّى لا يُتَّهم؛ لأن بعض الناس قد يقع في نفسه شيء.

- ويدل على هذا حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن صفية، مع أنه أبرأ الناس وأكمل الناس، فلما رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرجلان، قال: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ**»، فتعجَّبا، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا**»[٢٧].
- وللشافعي كلام عجيب في هذا الحديث، حيث يقول -رحمه الله: إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما دعاهم ليبرئ نفسه، فهو بريء ببراءة الله له وعصمته له؛ وإنما دعاهم لطرد الشك عنهما.

◆ **بعضهم يحتج ويقول: أحب أن أُجرب الجديد، وأحب أن أذهب لأماكن جديدة بما فيها من أماكن الريبة. فما توجيهكم؟.**

هل لذهابه مصلحة؟ هل هو مسؤول وظيفي أو مراقب تابع للدولة؟ وهل هذه الأماكن في مُلكِهِ؟

---

[٢٧] صحيح البخاري (٥٨٦٥).

- الأصل في الذهاب إلى مكان -هو يعرف أنه موطن ريبة- الكف، وبخاصَّة أن قُرب الأماكن قد يؤدِّي إلى انزلاق، ولهذا جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ فالنَّهي عن القُربان يؤكد على عدم المخالطة والمداخلة.

◆ هل خوارم المروءة تؤدي إلى ارتكاب الحرام؟.

- نعم قد تؤدي إلى التساهل بالواجبات ثم ينزلق، فكلما تجرَّأ الإنسان على تخطِّي الحِمَى والتَّساهل بالأشياء؛ فإن ذلك يؤدي إلى نتائج ومآلات لا يُحمد عقباها.

❖ الصورة الثانية من خوارم المروءة:

- التَّمسخُر والتَّوسُّع في المزاح مع الغرباء بخاصَّة، فيأتي المجلس لأول مرَّة أناس لا يعرفونه، أو يحضر مجلس لأناس لا يعرفهم؛ يعني: أقام أحد وليمة فحضر أناس يعرفهم صاحب الدعوة، وقد يكون لهم هيئات، فبعض الناس يتمسخر بالمزاح، ويتجرَّأ في التعليق على فلان أو فلان، وأحيانًا قد يُصدَم بردٍّ عنيفٍ من أحد الحاضرين، وهو في الحقيقة يستحق هذا الرد، يا أخي احترم مشاعر الناس، فليس كل الناس تقبل المزاح والمداعبة والمضاحكة، وتجد بعض الناس تأبى نفسه أن يمزح أمام الناس حفظًا لمقامه وهيبته، وبعض الناس صفيق، يتجرَّأ في تعليقاته ومزاحه ويخرج عن الآداب الشرعية؛ بل أحيانًا يتلوث بالمحرمات.

- روى مسلم عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟! فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»"[٢٨].

- إنَّ من خوارم المروءة: أن يأتي الرجل يمزح ويتمسخر، وفي الغالب لا يسلم من نقد العقلاء؛ بل أحيانًا قد يرد عليه أحد الحاضرين ردًّا عنيفًا.

❖ الصورة الثالثة من خوارم المروءة والتي نهى الشرع عنها:

- يأتي بعض الناس في المجالس برائحة غير زكيَّة، كأن يأتي إلى وليمة أو مجلس، أو دعوة خاصَّة أو عامَّة؛ فيحضر بثياب لها رائحة، وبعض الحاضرين يتقزَّز؛ بل إنَّ بعضهم قد يعاتبه، وكما بلغني أنَّ واحدًا عاتبه وقال له: يا أخي إن كنتَ فقيرًا أعطيناك! يا أخي تزيَّن أمام الناس، الرائحة غير مَقبولة، والثياب نتنة.

- وهذا ناهيك عن نقد العقلاء، فبعض الناس قد لا يتجرَّأ على المجاهرة بنقده، ولكن في نفوسهم نقد هذا التَّصرُّف وذمّه، وبخاصَّة أنَّه قادر وعنده من الخير ما يكسو الكثير، ولكن بعضهم لا يُبالي، فيأتي بثياب

---

[٢٨] مسلم (٢٤٠١)

وروائح في بدنه وثيابه يستقبحها العقلاء، وهذا لا شكَّ أنه يكون مُضغة في ألسنة الناس للنقد والذَّم؛ بل إن بعض الناس إذا دخل المجلس لا يصافح فلانًا؛ لأن يده فيها أذى! وأحيانًا يتصرف تصرفات مُقزّزة، فيُلوث يده بأشياء كأن يحكَّ رأسه أمام الناس بشكل مقزز ثم يأتي يُصافح، أو يُنظف أنفه ثم يأتي يُصافح!

❖ الصورة الرابعة من خوارم المروءة:

- فضول النَّظر والكلام.

بعض الناس إذا دخل مجلسًا ينظر، وأقبح من ذلك أن يفتح الأدراج، أو يركب سيارة أحد فيفتح الدرج، أو يكون له فضول نظر، فإذا قيل له: اجلس إلى هنا؛ أصرَّ إلَّا أن يجلس في مكانٍ ثانٍ، أو يُدعَى إلى وليمة خاصَّة فيُحضر معه واحد أو اثنين.

- أحيانًا يدخل بعض الناس إلى مجلس لزيارة صديق، فيقول صاحب الدار: تفضل هنا -لأنه هو أدرى بداره- فتجد بعض الضيوف يجلس في المكان المقابل، فعليه أن يستجيب لكلام صاحب الدار؛ لأنه لو جلس في غير هذا المكان لربما قابل بابًا مفتوحًا أو ممرّ النساء، **فصاحب الدار اختار هذا المكان لأمرين:**

   - إما لإكرام الضيف.
   - أو أن هذا المكان يحجب عنه ما خلف الباب.

- فينبغي أن نعود أنفسنا ونعود أولادنا على أن نجلس حيثُ أُمرنا بالجلوس، إذا كان مشاع الجلوس فلا بأس.

◆ من عادة الناس عندنا أن يتمنَّع الضيف برهة من الزَّمن؟.

- قد يكون تواضع من نفسه أنه لا يستحق هذا المكان، فإذا أمره صاحب الدار فالامتثال خير من الأدب، فالأدب أن أجلس في هذا المجلس، لكن الامتثال لصاحب الدار أولى، صاحب الدار ألحَّ عليك فاجلس ولا تخالف كلامه، فأحيانًا يرى صاحب الدار تواضع الضيف، ولكن إذا ألحَّ وأصرَّ فهو أدرى بداره.

❖ الصورة الخامسة من خوارم المروءة:

- السؤال عن خصوصيَّات النَّاس، أمورهم الخاصَّة ودواخل أسرارهم، ويزداد هذا قبحًا ولؤمًا إذا كان أمام الناس، ويزداد إذا كان أمام الغرباء.
- مثلًا: في وليمة كبيرة، فيقوم أحدهم ويقول: فلان كم عمرك الآن؟
- أنت غير مكلف أن تسأل عن عمره، قد يكذب حتى لا يكبَّر أمام الناس، وقد يصدق فتُحرجه أمام الناس.
- ولَمَّا قال أحدهم للإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يا إمام كم عمرك. قال مالك: أقبل على شأنك، ودعْ عنكَ ما لا ينفعكَ.

- وجاء رجل أمام أحد العلماء وذكَّره بأيَّام الصِّغر وقال: تذكر لما كنتُ أنا وإيَّاكَ كذا وكذا...، أمام الناس! قال العالم: حفظتَ ما لا ينفعك الله به.

- ومما يُستقبح: أن يأتي شخصٌ من أصحاب الوالد أمام أولاد صاحبه، يعني زار زيدٌ عمرًا، فعرو أحضر أولاده من البيت حتى يعرفهم بصديقه زيد، فزيد هذا من سوء أدبه ووقاحته وقلَّة مروءة يقول: كان أبوكم لما كنا صغار يفعل كذا وكذا -أمورٌ مستقبحة- أمام الأولاد!

- وكان الأولى بكَ أن تذكر مناقب للرجل أمام أولاده ليقتدوا به، ولكن تُحرج الوالد أمام ولده، وتذكر أشياء يستحي الوالد من ذكرها لأولاده، ولو كان لي سلطة لكنت أعزِّر النوعية هذه، هذا الذي يجعل الأب في موقف محرج، ويُجرِّئ الأولاد على والدهم.

- ومن فضول الكلام: أن يقول بعض الناس، فلان لِمَ لم تتزوَّج؟

- ومن فضول الكلام: الأسئلة الخاصة: فلان يسأل كم راتبك يا فلان أمام الناس! حتى لو كنتما وحدكما فلستَ مكلَّف أن تسأل.

❖ **الصورة السادسة من خوارم المروءة:**

- أنت دعوتَ أناسًا إلى وليمة في بيت، وأنا عرفتُ أنَّك دعوتهم؛ فإذا قابلت لا ينبغي أنا أعاتبك وأقول: لِمَ دعوتَ فلانًا وفلانًا ولمْ تدعوني!

- فقط يكون فيه موضوع خاص بينكم، فأنا بهذا الكلام أُحرجكَ، وقد تعتذر أنت عذرًا بأن نسيتَ، وقد تؤلمني وتقول: لم أدعوكَ عمدًا، فهذا موضوع خاص.

- فالأولى أن أكفَّ لساني، ولا أُعرِّض نفسي للنقد والعتَب.

◆ **ما هو الموضع المناسب لطرح الأسئلة الخاصة؟.**

- يختلف باختلاف السائل والمسؤول، فأحيانًا يكون المسؤول عنده درجة من الحساسيَّة، يتأثَّر بأدنى شيء، فمثل هذا دقيق كميزان الذهب، وفي تعاملك معه كأنك تمشي على زجاج، فينبغي الحذر، ولكن بعض الناس لها نفوس يقبلها ويرتاح لها، بل هو قد يُصارحهم بخصوصياته قبل سؤالهم، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**»[٢٩].

- فأنا وجدت أن من أحسن الأساليب هو التوطئة العامة، تقول: يا فلان، فيه موضوع أحب أن أتحدث فيه معك، إما أن تقول لي: "استعن بالله وابدأ" أو تقول: "استعن بالله ولا تتكلم"، وهذا الموضوع يتعلق بالتأخر في الزواج.

---

[٢٩] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه معلقا مجزوما به عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣٣٣٦).

◆ ما توجيهكم لهذا الضابط: إن كنت ترى أنك تفيده فاسأله؟.

- هو مؤدَّى الكلام السابق، ولكن أحيانًا يتوهَّم الشخص أنه سيفيد، وهو لا يعرف نفسيته؛ لأن النفوس حساسة.
- أعطيك مثالًا: بعض الناس يتعبك في صحبته، حساس لدرجة أنك تحتاج أن تتعذَّر من كل شيء، تجده يجلس معك ويكون معك الحق، ثم فجأة يقول لك: لماذا هذه الكلمة؟ هذه لمز لبلدنا...، أو...، فأنت تتعذَّر منه كثيرًا. فهذا متعب صراحةً، وأحسن معه أن تكون مستمعًا لا متكلمًا.
- أما القضية التي ذكرتها؛ فكل إنسان له قدرة على الأسلوب، ويعرف نفسية من بجانبه، ولكن إذا كنتُ أعرف أن فلانًا من الناس له صاحب خاص ولكن ما يقبلني أنا، فأنا آتي لصاحبه هذا الذي يُحبه وأقول له: يا فلان، فيه موضوع أنت أولى من يُكلمه.
- أنت تقدر الأمور بقدرها، فإذا رأيت أنك تحسن التعاون معه، ورأيت المصلحة في الكلام فنعم، وإلا فالإحجام.

❖ الصورة السابعة من خوارم المروءة:

- أن بعض الناس يُحاكي الصغار في لهوهم، يلاعب الصغار ولكن بتصرفات تزيد عن العادة، يعني يسابقهم في الشوارع ويلاعبهم، لو جاءت عرضًا كنوع ود وتأثير، ولكن دائمًا مع الصغار أو السفهاء في لعبهم وضحكهم.
- قرأت أثرًا في طبقات الحنابلة: "كان فلان من أهل العلم، وكان يقف دائمًا على القرَّاضين والحوَّائين والمشعبذين؛ فسقطت هيبته وذهبت مروءته".
  - ✓ القرَّاضين: أصحاب القروض.
  - ✓ الحوَّائين: أصحاب الحيَّات.
- وليس معنى هذا أن الإنسان يُشدد، فالمزاح مع الصغار ومداعبتهم مطلب، ولكن أن يكونَ عادةً مُستديمة في كل مكان وكل زمان؛ فهذا لا يليق، ويُسقط هيبة الشخص الذي يفعل هذا الفعل.

◆ هل فِعْل الحسن لَمَّا ركب على ظهر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو يصلي؛ مما جاء عرضًا؟.

- لا شك؛ حتى الآن يفرح الإنسان بالمحاكاة النبوية لهذا الفعل، ولكن الهيبة النبوية والوقار شيء آخر.

❖ الصورة الثامنة من خوارم المروءة:

- الاستئثار بأغراض الآخرين.
- يُشاركهم في الرحلة، ولكن لا يأتي بسيارته، ولا يدفع من ماله، ولا يأخذ شيئًا من متاع بيته، ولا يخدم!

- هذه دناءة أخلاق! يذهب معهم يأكل ويشرب على حسابهم، وقد يكون أغنى من كثيرٍ منهم، ومع ذلك لا يُشاركهم، فهذا قبل أن يكون من خوارم المروة فهو من دناءة الأخلاق ولؤم طباع.

❖ الصورة التاسعة من خوارم المروءة:

- عدم مراعاة كبير السن عند الحديث معه.

- تجد في مجلس كبير سنٍّ في السبعين من عمره وهذا في العشرينان، فيقول له: يا فلان، يا إبراهيم، يا سليمان..، يا أخي وقِّرِ المخاطب الذي أمامك!

- فإبراهيم -عليه السالم- كان يقول: ﴿يَاأَبَتِ﴾ [مريم: ٤٢]، نوح -عليه السلام- يقول: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: «يَا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٣٠]، وقال: يَا عَبَّاس، يَا عَبَّاسُ، يَا عَمِّ رَسُولِ اللهِ»[٣١]، حتى ذكر البخاري في الأدب المفرد "باب قول الرجل للكبير: يا عم..."، فبعضهم يخاطب الشخص الكبير باسمه مجردًا، ولو كان هذا الشخص طالب علم أو كان كبير السن وقال له صغير: يا صالح..، يا خالد...؛ يتضايق!

◆ **ما يتعلق بالمخاطبة: لو كان يُمازح والده أو والدته أو كبير السن، فيناده باسمه من باب الممازحة، وهو -أو هي- يتقبل هذا، فما الصواب؟.**

- أي شيء فيه إدخال السرور على الوالدين أو على الناس ولا يتأثَّرون بفعله، بعضهم يُخاطب أحد مشايخ العلم في الخلوات، فيقول: يا تلميذي سأتواضع وأسألك سؤالًا؛ فهذه مداعبة، ولكن التوقير أمام الناس مطلب.

- أحدهم يُخاطب والده ويقول: تعالَ وأنا أبوك واجلس عندي! فأبوه يسر ويفرح.

- يُخاطب والدته مثلًا ويقول: يا عروسة، يا شابَّة؛ أمه تضحك وتُسر.

- أي شيء يدخل عليهم السرور وليس فيه محظور شرعي فهذا من القُرب والطاعة.

◆ **هل يكون ذلك أمام الناس؟.**

- لا؛ إلا أمام خاصَّة الوالد يطمئن لهم، أو محارم الأم، فلا مانع.

- المهم أنَّ الضابط: عدم الوقوع في المحظور الشرعي، وعدم جرح مشاعر الناس.

❖ الصورة العاشرة من خوارم المروءة:

---

[٣٠] صحيح البخاري (١٣٦٠).

[٣١] مسند أحمد (١٧٨٣)، سنن الترمذي (٣٥١٤)، صححه الألباني في صحيح الترمذي.

- أن يحضر شخص مجلسًا من مجالس الناس، ثم يستأثر بالكلام، ولا يعطي فرصة للآخرين مع أنه في المجلس من هو أسن منه وأعلم منه ومن هو أولى منه بالكلام؛ فهذا يتحدَّث من ألف المجلي إلى يائه!
- وهذا لا شك مما لا يليق؛ بل يستقبَح من العقلاء، وقد يُضطر بعض الحاضرين إلى زجره ونهره، فيقول له: اسكت، كفانا كلامك!

❖ الصورة الحادية عشرة من خوارم المروءة:

- الاشتغال بالجوال أو بحركات لا تليق بالعقلاء عند سماع المتحدث.
- شخص يتحدث في مجلس والحضور مستمعون، بينما هذا يشتغل بالجوال، وكل الناس منصتون لهذا الشخص، المتأذِّي الأول هو المتكلم، فهذا ليس من المروءة وليس من الاحترام، فكل دقائق أنصت. أو تجد بعضهم يمسك السبحة! يا أخي أمسك وتأدَّب. أو تجده يفعل في الجلسة ما لا يليق إطلاقًا بالعقلاء.
- قيل: إيَّاكَ وما يعتذر منه.
- وعن علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أثر: "إيَّاكَ وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره".
- يعني: لا تفعل فعلًا يحوجكَ إلى الاعتذار، حاول تحفظ نفسك من النقد ومن ذم الناس لك؛ فينبغي الإنصات للمتكلم وعدم العبث وعدم اللغو بقول أو فعل.

❖ الصورة الثانية عشرة من خوارم المروءة:

- عدم مراعاة أعراف الناس.
- عندنا في الأقاليم لهم عادات، في الجنوب لهم عادات، وفي الشمال لهم عادات، وفي الشرق لهم عادات؛ وفيه بلاد خارج المملكة لهم عادات؛ فينبغي التقيُّد بعادات الناس التي لا تخالف الشرع، ولا تجرُّ فعل المحرَّم أو ترك واجب.
- مثلًا: عند بعض الناس عادة على الطعام أنهم إذا جاءهم الضيوف لا يُمكن أن يجلسوا معهم، ولو كنتَ واحدًا ويدعوك رجل إلى بيته وأولاده ثمانية، وتجلس أنت وحدك إلى الطعام؛ فلا تُلح عليهم في الجلوس معك.
- وعند بعض الناس إذا أكلوا لا يتعجَّلون القيام قبل الضيف؛ لأنه إذا قام سيقوم الناس، فينبغي مراعاة هذا.
- أو إذا قال لك صاحب الوليمة: هذا مكانك، أو يضعون مثلًا صدر الذبيحة أو رأس الذبيحة في مكان الضيف، وأنت لا تحب هذا الشيء؛ فينبغي أن تُراعي مشاعر الناس حتى لا تُكدِّر عليهم آدابهم وأخلاقهم.

◆ مَن أدركَ أن عنده بعض خوارم المروءة وقد اعتادها، كيف يُعدِّل هذه الخوارم ويتحصل على الأخلاق الفاضلة؟.

- في نظرية للفيلسوف الهولندي اسبينوزا، يقول: إن الشخص يُخلق كالحمل الوديع أو كالسبع المفترس.
- كأنه يقول: إن الأخلاق جبلة ما تتغير، وهذه النظرية باطلة بالشرع والعقل والفطرة والتجارب الحسيَّة، فهو يُعود نفسه على الأخلاق الفاضلة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إنَّما العِلْمُ بالتَّعلُّمِ وإنَّما الحِلْمُ بالتَّحلُّمِ مَن يتحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ ومَن يتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»**[32]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْه اللهُ، ومَن يَستَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّه اللهُ»**[33]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩] .
- ومما يُبطل النظرية السابقة أنَّ الآيات الكريمة جعلت للأعمال الصالحة اجرًا وثوابًا، وللسيئة وزرًا وعقابًا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



---

[32] المعجم الأوسط للطبراني (٣/١١٨)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٢٨).

[33] أخرجه أحمد (١١٠٩١) واللفظ له، وابن حبان (٣٣٩٩)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٩٠٤٦).

الدرس الرابع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

قواعد وآداب في التعامل مع الأصحاب.

- ومما عُني به الإسلام: العلاقات الاجتماعيَّة، وجاءت النصوص الكثيرة والأحاديث النبوية الكثيرة وصنَّف أهل العلم مُصنفات خاصَّة فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع والديه، مع أهله، مع أولاده، مع أصحابه، وهذا مما يحتاجه كثيرٌ منَّا، وهو معرفة ما يتعلق بالتعامل مع الأصحاب، وهو حديث هذا المجلس -إن شاء الله تعالى.
- ومن المعلوم أنَّ لكل إنسانٍ أصحابًا، وكما ذكر الماوردي وغيره المسألة اللطيفة في علاقة الأصحاب: **هل الأفضل للإنسان أن يتكثَّر من الأصحاب أو أن يتقلل؟**
- فذهب أهل العلم إلى مذاهب ثلاثة:
  - **الأول:** أن يتكثَّر؛ لأن في الكثرة مصالح من قضاء الحوائج، وما يتبع ذلك في هذا الفلك.
  - **الثاني:** الأفضل أن يتقلل، حتى لا تكثر التبعات والمسؤوليات والمعاتبات.

❖ **الثالث وهو المذهب الوسط والصحيح:** أن يتكثَّر بشرط أن ينتقي، فالإنسان يفرح أن يكون له أصحاب فيهم من الخلق والفضائل والآداب، كلما كثروا كلما كان أحسن، **واحتجَّ أرباب هذا القول بأن الكثرة المنتقاة فيها فوائد، منها:**

- ☑ الذب عن عرضه إذا قُدح فيه بغير حق.
- ☑ تذكيره إذا نسي.
- ☑ أنهم يشفعون له عند الله -جَلَّ وَعَلَا.
- ☑ قضاء الحوائج.
- ☑ كثرة الدعاء له.

- ومن هذا القبيل يتبيَّن أن الأفضل هو كثرة الأصحاب بشرط الانتقاء، كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»**[٣٤]، وفي الحديث **«إِنَّمَا مَثَلُ الجلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ»**[٣٥]، فإذا كان جلساؤك من الصالحين؛ فكأنَّك تجالس أصحاب مسك كُثُر، يحضرون برائحتهم الطيبة، يحضرون بيتك أو طريقك.

◆ **هلَّا ذكرتم لنا بعض القواعد في ذلك؟.**

☑ **القاعدة الأولى:** لا تظنَّ سوءًا بأحدٍ بمجرد خبرٍ سمعته، فبعض الفضلاء يسمع خبرًا عن أحد أصحابه فيصدقه؛ فالأصل في المسلمين عُمومًا العدالة، والصاحب له حق الصُّحبة، فلو كل مَن سمع في صاحبه خبرَ سوء صدَّقه ما بقي لأحد صاحب، ولكن قضية التثبت مطلوبة، والمحمل الحسن مطلوب، ودائمًا كلما وضع الإنسان نفسه في الموضع يعرف مرارة التَّصرُّف الخاطئ، ويعرف أثر التَّصرُّف الحسن.

☑ **القاعدة الثانية:** لا تكن أذناكَ وعاءً لكل خبرٍ، ولا يكن لسانك مغرافًا لكل ما تسمع، فبعض الناس يفقد أصحابه الواحد ثم الآخر بمجرد أنه يسمع أخبارًا عنهم أو عن قرابتهم، فيبدأ في نشر هذه الأخبار في المجالس، أو في وسائل التواصل الاجتماعي؛ فينفر منه الكثير، ويبغضه الكثير، ويكون مذمومًا إذا حضر، يُفرَح إذا غاب ويُكره إذا حضر، وهذا من كثرة الكلام ونقل الأخبار، قال الله -جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦]، وقال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ»**[٣٦]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«بِئْسَ مَطِيَّةُ**

---

[٣٤] أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (١١٣٥٥)، صححه الألباني.
[٣٥] أخرجه البخاري (٢١٠١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٨).
[٣٦] صحيح مسلم (٥).

الرَّجُلِ زعَموا»[٣٧]، زعم فلان، زعم زيد، زعم عمرو...، ثم يبدأ بنقل هذه الأخبار التي تفكك روابط الأخوة والمحبة.

◆ **أحيانًا بعض الناس يكون من أصحابه مَن تحوم الشُّكوك حوله، إمَّا في أمور ماليَّة، أو في غيرها من الأمر، فيقول: أنا لا أجزم بهذا الخبر، ولكن التوقع الحذر منه. فما توجيهكم؟.**

- الإنسان إذا سمع عن أخيه خبرًا، فإذا كان هذا الخبر مادحًا فيفرح، وإذا كان قادحًا يتثبَّت، فإن كان الخبر ثابتًا في حق أخيه وهو يقدح في عدالته وأمانته فهنا يُقال: هل لك قدرة ولك أسلوب ولك قبول عنده في مناصحته ومفاتحته في الخبر؟

- فبعض الأحايين تعرف أن أخاك على خطأ، لكنَّك تعرف من نفسك أنَّه ينفر منك، أو أنَّ في أسلوبك انفعال أو حدَّة فتزيد جرحه ألمًا، ولكن إذا عرفت أن هذا الشخص له أسلوب طيب، وله حجج مقنعة، والشخص الآخر يقبله، فمن باب تغيير المنكر أن أسعى إلى تغييره من طريق فيه مصلحة وتحقق منفعة.

☑ **القاعدة الثالثة:** إذا بلغك شحناء بين صاحبيك فبادر بالصلح بينهما.

- وللشيطان مسلك خفي، فقد يكون لبعض الأفاضل صاحبان يذهبان سويًّا ويسافران سويًّا، ويجتمعان سويًّا؛ كأنَّه ظل لصاحبه، فيقع بين الاثنين نوع من سوء الفهم فيتنافران. فالمسلك الشيطاني الخفي أن هذا المرجع للطرفين يأنس بهذا الشيء، يقول: الاثنان يحبونني، كل واحد يتصل بي؛ فيفرح أن بين الاثنين جفوة!

- فهذا من مسالك الشيطان، وهذا مما لا ينبغي أن يكون في خلق المسلم؛ بل عليه أن يتألَّم لتنافر أخويه، وأن يُسارع بالصُّلح بينهما.

- فمن تلبيس إبليس ومن سوء العلاقة بالأصحاب، ومما يرضي الشيطان ويسخط الرحمن: أن يفرح الإنسان بتنافر أخويه؛ لأنهما اتفقا على محبته، وشعر أنه مرضي عند الطرفين، والأولى أن يتألم لألمهما، وأن يؤمل بأملهما، فيسارع للصلح حتى لو دعت الحاجة إلى الكذب، يقول: أخوكَ متألم ويتمنى تعود العلاقة والمودَّة، ويقول للثاني نفس الكلام؛ فكما جاء في الحديث: **«لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا»**[٣٨]، فالشرع رخص في الكذب للإصلاح بين الناس، من باب أنه يقرب القلوب والأبدان.

◆ **هل من نصيحة توجهها لمن كانوا إخوة في الله وحصل بينهما شحناء؟.**

- إذا علم الإنسان أنَّ الشحناء من الشيطان، وأنها قد تكون سببًا في عدم رفع العمل إلى السماء، وأنها مع التقادم تزيد من تمكُّن العداوة، وأن الإنسان في هذا قد أرضى الشيطان وخالف طاعة الرحمن؛ فيُقال: هذه

---

[٣٧] أخرجه أبو داود (٤٩٧٢) واللفظ له، وأحمد (٢٣٤٥١)، صححه الألباني.

[٣٨] صحيح البخاري (٢٦٩٢).

الصحبة التي بينك وبين أخيك صحبة سنوات لا يفرقها الشيطان بخلاف لحظات، وكما يُقال: الصاحب لا يُشتَرى ولا يُلتَقط، وإنما الصاحب الطيب هبة من الله، فحافظ عليه، وتحمل تبعته، وسترى منه قبولًا.

☑ **القاعدة الرابعة**: أن يتسع صدرك لمن خالف رأيك إذا كان في الأمر احتمال -أو احتمالات.

- فمما يفرق بين الأصحاب أن يرى أحدهما رأيًا، ويرى الآخر رأيًا يُخالف رأيه، وقد اعتاد الأول -وخاصة لو كان أكبر سنًّا- أنَّ الثاني يتبعه في جميع مرئياته، ولكن هذا خالف رأيه، ولم يتفق معه في هذا الرأي، وبيَّن خللًا في رأيه، فينبغي للآخر أن يفتح صدره قبل بيته، حتى لو كان الرأي الذي سمعه مَرجوحًا، فيبقى أن يرى رأي صاحبه رأيًا راجحًا.
- فمن سوء علاقة الأخوة والخلل في الترابط الأخوي أن يجد الإنسان حاجة في نفسه على أخيه لمجرد أنه خالف رأيه.
- ومما يسبب زيادة المحبة والتوافق: أن يعرف الأخ أنه إذا خالف أخاه أن صدورهم رحبة، وأنَّ هذا لا يعكِّر الأخوة، وإنما هي وجهة نظر -كما يُقال.

◆ **يقول بعضهم: المسائل الخلافية إذا كانت تسبب فرقة فالأولى تركها حتى لو كانت مسائل شرعية؟.**

- الخلاف على قسمين:
- **الأول**: خلاف له حظٌّ من النَّظر.
- فمثلًا: هذا يرى الصلاة خلف الصف مُنفردًا لا حرج إذا امتلأ الصف، والثاني يقول: لا، لو كان الصف مليئًا ينتظر أحد، أو هل السترة واجبة أو غير واجبة؛ فهذه مسائل خلافية، ولكن لو كانت المسائل محسومة مثل المسائل العقدية المتفق عليها؛ فإذا رأى الأخ من أخيه خللًا فيها فعليه أن يتعامل معها التعامل الشرعي، بالمناصحة أو إن دعت الحاجة إلى العتاب والزَّجر؛ فهذه كلها ضوابط ضرعية.
- فمثلًا: كان عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أحب الناس إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بعد الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ومع ذلك في موقف وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان عمر مكذبًا لهول الخبر، فأتى الصديق أمام الناس وقال: اجلس يا عمر اجلس يا عمر؛ فلمَّا أصر عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- على رأيه تركه الصديق، وذكر الآية والحديث أمام الناس، والله تعالى يعلم محبة الشيخين، فلمَّا رأى عمر أن الصديق تكلم بالنُّصوص الشرعية، ففتح الله قلبه للحق وتقبل الخبر، وما زاد ذلك عند الصديق إلا محبة وتوقيرًا وتعظيمًا له.

☑ **القاعدة الخامسة**: بعض الإخوة يفهم بعض معاني الأخوَّة فهمًا خاطئًا.

- مثلًا تقول: إن صاحبك وأخاك يقع في معصية ويغتاب، فيقول: أنا أتركه يتكلم، فإذا انتهى المجلس وخلونا أنبهه.

- فهذا من الخلل، الأولى أنه إذا تكلم بالغيبة أن تتلطَّف في صرف الحديث إلى مجرى آخر.
- فمثلًا: أنا جالس مع شخص، وهذا الشخص اغتاب، فلو قلتُ له: هذه غيبة محرمة، فقد يؤزُّه الشيطان، لكن لو قلت: يا فلان، ما خبر والدك مع فلان...، ما خبر السفر الذي ذكره فيه والدك بعض الطرائف واللطائف...، هو سيفهم أن مرادي من هذه المداخلة هو صرف الحديث عن مجراه.

☑ **القاعدة السادس:** <u>بعض الإخوان يرى من أخيه جفاءً لا يعلم سببه، وهذا يقع دائمًا</u>، فبعض الناس -كما يُقال- عنده حساسية زائدة، يتأثَّر بأي فعل وأي قول، حتى لو كان الفاعل أو القائل ما أرادَ أذيَّته.

- وأذكر في بعض المجالس أن أحد الأفاضل يقول: عندنا كلمة في مجتمعنا دارجة، ولكنها تُعاب عند الأخ الآخر، فخاطبته بها من باب الدعابة فتأثر، فيحمل منه أخوه!
- فيُقال لهذا الحامل: احمل كلام مَن كلَّمكَ على الخير؛ لأنه ما يعرف أن هذه الكلمة تخدش الحياء عندكم.
- والإشكال أني أرى من صاحبي جفاءً، فهو ليس بصاحبي الذي أعرفه والذي كنتُ إذا جالسته سرَّ واستبشر؛ ولكن أجد فيه فتور، قبل يومين كنت أتكلم معه كلامًا وأجده يداخلني وهو مسرور، ثم الآن أجده ساكتًا، أتفاعل معه ما أجد منه تفاعل! إذن؛ هناك سبب!
- وهنا لابدَّ أن تستوضح، تقول له: يا فلان، لستَ بصاحبي الذي أعرفه، وأنا ما أعرف شيئًا فعلته، إذا كنتُ قلتُ شيئًا لك أو فعلت شيئًا، فمن واجب الديانة وأحقيَّة الأخوَّة أن تبيّن لي.

◆ **بعض الناس يقول: إذا تغير عليَّ أخي، ثم سألته فلم أجد سببًا يقنعني؛ أتركه؟.**

- نعم، أتركه ولكن يبقى حق الإسلام العام، ولو أت معتذرًا أفتح صدري له قبل بيتي، ولكن قد يكون من راحتك انت ومن راحته عدم التواصل معه، لأنه ما عنده تحمل، هذا صعبٌ، والتعامل معه كأنك تمشي على الزجاج، فالطريقة الصحيحة مع النوعية هذه ان لهم حق الإسلام العام، لا مداعبة، ولكن سلم عليه وأعطه حق الإسلام، فالتوغُّل قد يُفضي إلى ما لا تُحمَد عقباه.

☑ **القاعدة السادسة:** <u>إذا لم يقبل صاحبك نصحًا فيما نصحته به فتريَّث؛ فقد يكون الحق معه</u>، فلا يلزم أن يكون الناصح مُصيبًا، قد يكون الناصح مخطئًا والمنصوح مُصيبًا، وفي السنَّة ما يدل على ذلك، فالرجل الذي نصح أخاه في الحياء، مرَّ بهما النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو يعظ أخاه في الحياء، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خاطب الناصح وقال: **«الحَياءُ لا يَأْتي إلَّا بخَيْرٍ»**[٣٩]، فخطَّأ الناصح وصوَّبَ المنصوح، فلا كل من نصح مصيب، ولا كل من نُصِحَ مخطئ.

---

[٣٩] أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

- فيُقال: إذا نصحتَ أخاك في أمرٍ، والأمر يحتمل رأيك ويحتمل رأيه؛ فلا تحمل عليه إذا ما قبل نصحك، فقد يكون مصيبًا؛ ويبقى البحث فيمن هو أعلم وأمكَن، وله أثر على الطرفين في علمه، فيُستشار ليرى الصواب مع أي الطرفين.

☑ **القاعدة السابعة**: إذا رأيت خللًا في صاحبي، كأن يبلغني خبر عقوقه مع والده، أو خبر مع أولاده أو أهله أو جيرانه، أو أي شخص محسوب عليَّ وأنا محسوب عليه، ويعرف الناس أني أُجالسه ويُجالسني، وأعرف أن هذا الخلل فيه؛ فمن الديانة وحق الأخوة النصح، وإخباره بما فيه، ولكن -كما قلت- أنت تعرف من إخوانك وأصدقائك أن هذا يتأثر بسرعة، وهذا يحتاج إلى شخص آخر، وهذا يحتاج إلى لين، وهلم جرا...

- فالواجب الشرعي والمروءة والديانة تقتضي بأنك تتلطف في إخباره، إلا إذا عرفت بنفسك أنَّك إن قسوت عليه فهو يعلم أن قسوتك هذه محبة له.

☑ **القاعدة الثامنة**: بعض الأصحاب يتثاقل أصحابه حضوره، ويأنسون إذا غابَ؛ لأنه إذا حضر استأثر بالمجلس، يُقاطع هذا ويُداخل هذا، ويأخذ أكثر الوقت، قد تكون الجلسة قصيرة فيستأثر بالحديث، فإن تحدث غيره داخله وقاطعه، وهذا في الحقيقة لا يليق، ويُستَثْقَل صاحبها، ويُكره حضوره؛ بل إذا ما حضر قد يُقال: ارتحنا اليوم في مجلسنا وتبادلنا الحديث.

- وأنا أقول: إن بعض المذيعين عندما تستمع لهم تستمتع باللقاء بينه وبين شخصية الضيف، ولكن بعض المذيعين تتمنَّى أن يكون فقط أن يصب الشاهي للضيف ويسكت ولا يتكلم، يسترسل الضيف في الحديث فتستمتع، ثم يُداخله المذيع!

- ومن الآداب التي تتعلق بالمجلس: بعض الناس تجده يأسرك بحديثه، تجد بعض الحاضرين في مجلسٍ يتحدّث إلى جهةٍ واحدة للحضور ويتكلم معهم، ويكون فيهم شخص يعطيه النَّظر الأكثر، بينما البقيَّة كلهم لا يعيرهم الانتباه بنظره!

- يقول بعضهم: إذا رأيتَ محدِّثك لا ينظر لك ولا يأبه لك؛ فأعرض عنه.

- وهذا ليس على إطلاقه، ولكن يُقال: إن من أدب من يتحدث مع إخوانه أن يعم الجميع بنظره، ويُنبَّه الآباء والأمهات إذا كانوا يتحدثون مع أبنائهم لا يخصون أحدًا بالنَّظر والكلام دون غيره، فقد يقع في نفوس الآخرين نوع من الشحناء والحسد للمخصوص بالحديث والنظر.

☑ **القاعدة التاسعة**: إذا أخطأ الأخ في حق أخيه فليُبادر بالاعتذار حتَّى ولو كان أخوه أصغر منه، ولو كان أقل رتبة، حتى لو كان المخطئ مُعلم وهذا تلميذ، أو المخطئ تاجر وهذا فقير؛ فينبغي لمن أخطأ أن يتقرب إلى الله -عز وجل- بالاعتذار من أخيه، فهذا من حق أخيه، فلابد من إعطاء الحقوق لأهلها.

- وفي حالة عدم الاعتذار مع التقادم ينقلب الخطأ إلى شحناء، ويتولد منها أشياء كثيرة؛ بل قد يتأثر بعض الإخوة بسوء فعله وعدم اعتذاره، فالاعتذار ينسخ الخطأ نسخًا كليًّا، فإذا أبى الاعتذار فإنَّ هذا ممَّا يجعل الحاضرين يأنفون ويكرهون السماع لكلامه.

◆ **بالنسب للنقطة السابق الخاصة بتوزيع النظرات؛ بعضهم يقول لو كان في المجلس وجيه العائلة أو الجد أو الأب؛ فهل أيضًا في هذه الحالة يوزع المتحدِّث النظرات؟.**

- يُقال: نعم، ولكن يخص الوجيه -أو الأب- بنظرات أكثر، ولو قيل: ابن يتكلم مع أبيه بحضور إخوانه؛ فهذا حق آخر، أو بنت تتكلم مع أمها بحضور أخواتها، فالأم هي الأصل، ولكن إذا نظر إلى والده ثم نظر إلى إخوانه وجعل الضمير للخطاب كأن يقول: "أنت يا والدي وكل إخواني هؤلاء وأخواتي..."؛ فيُشركهم بالنَّظر مع الخطاب حتى يعزز وجودهم ومكانتهم.

☑ **القاعدة العاشرة:** إذا بلغك خبرٌ يُفرح ويُفخَرُ ويُفاخر به عن صاحبك، إما ترقية وظيفية، أو ثناء من أحد المسؤولين عليه، أو عمل خيرًا ودعا له الناس؛ فأيًّا كان هذا العمل، فإن إخباره وشكره والدعاء والثناء عليه بهذا الوصف يزيده محبةً، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- من سياسته ذكر الصفات الطيبة في الشخص، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لأَشَجِّ عبدِ القَيْسِ: **«إنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللَّهُ: الحِلْمُ والأناةُ»**[٤٠].

- فإذا رأيت أحد أصحابي -مثلًا- غضب عليه والده أو مسؤول، فامتصَّ غضبه وهدَّأ نفسه، وقابل ذلك الانفعال من المسؤول -أو من الوالد- بحسن اللفظ؛ فتأثر الوالد والمسؤول، وهذا الموقف لا ينبغي أن يذهب هكذا؛ بل يُسجَّل في سجلي، ويُقال: يا فلان شكرًا لك على هذا الموقف، وقد نعجز نحن عنه، وشكرًا لك على هذا، وما فعلته يعد مدرسة بهذا التصرف السليم وتشكر.

☑ **القاعدة الحادية عشرة:** إذا عرف الإنسان من بعض أصحابه صفات مُؤثرة أن يُلازم هذا النوع من الناس، ولأنه كما يُقال: "الصاحب ساحب"، والإنسان يتأثر بجليسه، والأصحاب يتفاوتون في الصفات وفي الطبائع، وبعض الأصحاب تغبطه على أمور قد يتفرَّد بها من بين سائر الأصحاب، فمثل هذا قد يُخص بزيارة أو باتصال أكثر من غيره، وهذا لما فيه من الصفات، ومن خلال ملازمته ومحاكاته في تصرفاته تنطبع فيك تلك الصفات الحميد، فالمؤمن مرآة صاحبه، فبعض الناس يتأثَّر سِلبًا وبعض الاس يتأثر إيجابًا بحسب الصحبة وطول الملازمة.

◆ **مسألة انتقاء الأصحاب ذوي الأخلاق الحسنة، بعضهم يكون متميّزًا في جانب الأخلاق، ولكنه مخفق في جانب آخر. فهذا كيف نتعامل معه؟.**

---

[٤٠] صحيح مسلم (١٨).

- هذا في الغالب هو الأصل في الناس، فالكمال لله -عز وجل- فتجد أخًا يتميز مثلًا في قضاء الحوائج للناس وإخوانه ولا يتأخر إطلاقًا، ولا يمل ولا يكل، بل يفرح، ولكن في جانب آخر كالتعامل مع والديه تجد نوعًا من الخلل، شخص آخر صاحب دعابة وأنس، ولكن فيه بخل وشُح؛ فالإنسان يُحاول ترقيع الخلل في نفسه أولًا ثم في إخوانه.

- فإذا عرفت أن هذا الشخص من أصحابي قضَّاءٌ لحوائج إخوانه، خدوم للناس؛ فأقول له: تعالَ يا فلان، أنت تُغبَط على هذا وتُشكر، وإن شاء الله أنت على خير، ولكن أُلاحظ فيك بعض الجفاء مع والدك؛ فهذا يُعكِّر عليك صفحتك البيضاء هذه، فحق الوالد أعلا من حق الناس، وإدخال السرور على الوالد أعظم من حق الناس. وأعتقد أنه بالدعاء له وحسن التعامل؛ يترقَّع الخلل في جملته.

☑ **القاعدة الثانية عشرة:** استنصاح الصاحب، فأدرى الناس بك هو صاحبك الذي تسافر معه، وتمشي معه، وتقابله في اليوم مرة أو مرتين، تذهبان سويًّا وتأتيان سويًّا؛ استنصح هذا الصاحب، وسلْهُ هل ترى فيّ سلبيات أغيرها أو إيجابية ألزمها؛ ومن صدق الإخوة وصدق الديانة أن يجب على من استنصحكَ أن تمحض النُّصح له، بل عدم نصحه قد يكون من خيانة الأخوة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَمَنِ استشارهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ، فَقَدْ خَانَهُ»**[41].

- فإذا استنصحني أخي، وهب أن فيه خللًا بليغًا، ومع ذلك أغطِّي هذا الخلل ولا أذكره خشية أن ينفر مني؛ فهذا من الخيانة، والواجب إذا كنت تستحي أن تنصح أخاك بمشافهته فكاتبه، وإذا ضعفت عن هذا وهذا يبقى أن تجعل وسيطًا بينك وبينه.

☑ **القاعدة الثالثة عشرة:** مما يُعكِّر صفو الأخوة والرابطة الأخوة وأواصر المحبَّة: التوسع في المزاح، وبخاصَّة أمام الغرباء، فأنت تداعب أخاك بينك وبينه، فبينكما مزاح وتوسُّع، ولكن أمام الناس فلا، لنه قد لا يتحملك أمام الناس، وقد يكون موقعه عند الناس التَّهكُّم والتَّندُّر عليه، فيأخذون مزاحك سُبَّةً عليه، فبعض الإخوان يُخطئ في التصرف مع إخوانه، فالعلاقة الشخصية بينهما وليس معهما أحد ليست كالعلاقة بينهما أمام الناس؛ فلكل حادث حديث، ولكل مجلس جلساء وأسلوب يُناسب طبيعة المجلس.

- **من واجب الأخوة:** عدم جرح مشاعر أخيك أمام الناس؛ بل اذكر المناقب عمومًا أمام الناس، وخصوصًا أمام أولاده، فإذا كنت أعرف أن صاحبي هذا كان في الصغر صاحب مشاكسة، فالآن الأمور تغيَّرت، كبُرِ ورشُدَ، فأقول أمام أولاده: هذا أبوكم كان صاحبًا لي، وكان نعم الرجل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

[41] مسند أحمد (١١٨/١٦)، وهو جزء من حديث أخره أخرجه أبو داود (٣٦٥٧)، وابن ماجه (٣٤، ٥٣)، وأحمد (٨٢٦٦)، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤١)، قال الإمام الألباني –رحمه الله: "صحيح لغيره دون زيادة: "ومن استشاره" (السلسلة الصحيحة: ٣١٠٠) وأما زيادة: "ومن استشاره" فهي ضعيفة."

الدرس الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الخدم والعمَّال.

- خلق الله الإنسان وجعل له المدارك ليُميز بها ما ينفعه وما يضره، وكان من حكمة الله -جَلَّ وَعَلَا- أن فاوتَ بينَ الناس، فسخر بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وهذا من حكمة الله تعالى، ومن أسباب تكامل الحياة، فلو كان الناس كلهم أغنياء تتعطل سنَّة الحياة، ولو كانوا كلهم فقراء أيضًا كذلك، فمن حكمة الله تعالى أن جعل هذه الحياة متكاملة حسيًّا ومعنويًّا، فهذا طبيب يُعالج مريضًا، فالمرض أصبح مصدر رزق للطبيب، وهذا الفقير يعمل عند هذا الغني فأصبح هذا الغني مصدر رزق لهذا الفقير، وجاء في الشريعة أمور أخرى مثل الصدقات والزكوات وغيرها.
- ومن المعلوم أن حب التَّملك في طبع الإنسان، فالفقير يحب أن يتملَّك ماله حتى يسد حاجته وفاقته، والغني يُحب أن يتملَّك ويزداد، المهم أنَّ كل هذه الأمور من حكمة الله تعالى في تكامل الحياة.

هلَّا ذكرتم لنا بعض قواعد التعامل مع الخدم والعمال؟.

- مما ينبغي أن يُعلَم أن هؤلاء بعضهم قد تركَ بلده، وترك زوجته، وترك أولاده، وترك والديه، ما تركهم حبًّا أن يأتي إلى بلاد غير بلاده، ولكنها الحاجة، جاؤوا من أماكن بعيدة، فقد يأتي بعضهم وامراته حاملًا ويرجع وقد بلغ ولده أحيانًا العاشرة أو أقل أو أكثر، وبعضهم يأتي هنا فيغيب عن أبويه السنوات، فيموت أبواه وهو في الغربة، وبعضهم يأتي هنا يجمع ما يكفي لعلاج أولاده والنفقة عليهم ويكدح ليل نهار في سبيل تحصيل لقمة العيش.

- مثل هذه الظروف التي أَلَمَّت بهم وأحاطت بهم ينبغي لمن أفاء الله عليه بالرزق أن يُكثر من حمد الله تعالى وشكره، ويتذكر أن الذي ابتلاهم قادر أن يجعلنا في مكانهم ويصيرهم في مكاننا، ولله الحكمة البالغة، وإذا تذكر مَن عمل عنده خدم أنهم فارقوا بلادهم، بل إنَّ هذا المخدوم نفسه إذا سافر يحن إلى بلده وإلى أولاده وإلى ممتلكاته، فيُقال له: أنت ذهبت أيَّامًا وحننتَ، فهؤلاء تركوا بلادهم سنوات، فمن باب أولى وأحرى وأجدر أن يعرف الإنسان ما له من الحقوق، وأن يتقي الله تعالى في حقوقهم، وأن يتذكر نعمة الله تعالى عليهم، وأن يعلم أن هؤلاء قد يكونون مصدر شقاء له أو مصدر سعادة.

- والإسلام دين الحقوق، أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه ومستحقه، ومن عظمة الإسلام أنه حفظ الحقوق حتى للحيوان، بل حتى للجماد.

- وبالمثال يتضح المقال: الحيوان له حقوق في الإسلام، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»[٤٢].

- ومن حقوق الحيوان: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- رأى رجلين في السوق يتكلمان وهما على حمارين، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**ارْكَبُوا هَذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً وَابْتَدِعُوهَا سَالِمَةً وَلَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ**»[٤٣]، فأنت واقف تكلم صاحبك على الدابة! أرح الدابة وأنزل من فوق ظهرها.

- حتى الجماد أعطاه حقَّه، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**». قالوا: وما حق الطريق؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأذَى، ورَدُّ السَّلامِ، والأمْرُ بالمَعروفِ، والنَّهيُ عَنِ المُنْكَرِ**»[٤٤] فمن باب أولى أنه حفظ حق الآدمي، وبخاصَّة حق هؤلاء العمَّال، فإهدار حقهم من الظلم، كما قلت: إنهم مصدر رزق أو شقاء، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**»[٤٥]، فهذا الشخص ما أتاك إلا لحاجة ماسَّة، وآباؤنا وأجدادنا كانوا يُخبروننا أنهم كانوا يُسافرون لطلب المعيشة ولطلب الكد، والآن بفضل الله أصبح يُرحل إلى بلادنا بعد أن كانوا يَرحلون منها.

---

[٤٢] صحيح مسلم (١٩٥٥).

[٤٣] أخرجه أحمد (١٥٦٧٧) واللفظ له، والدارمي (٢٦٦٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١).

[٤٤] صحيح البخاري (٢٤٦٥)، صحيح مسلم (٢١٢١).

[٤٥] صحيح البخاري (٢٧٣٩).

- فمما يحرُم ظلمُ هؤلاء العمالة، والمعاملة القاسية لهم، فإذا كان الحيوان البهيم لا يجوز أن يُضرب بغير حقٍّ، أو أن يُحمَّل فوق طاقته، هو بهيمة وإدراكها محدود، فكيف بهذا الرجل الآدمي أو المرأة التي فارقت بلادها وأهلها لطلب الرزق والعيش! فينبغي الحذر كل الحذر من أن يُظلمون أو أن يُعاملون بمعاملة قاسية.

- ومن أخطاء بعض الكفلاء أو بعض من يستقبل أولئك: يستقبله لعمل معيَّن، فيأتي العامل وهو يعرف طبيعة عمله -سائق أو حارس أو أي عمل مخصوص- ثم إذا أتى يُفاجأ أن عليه غسل السيارات، وعليه أن يكنس البيت، وعليه أن يذهب بأبناء الجيران إلى كذا، عليه إذا تأخر حارس المسجد أن يجلس مكانه، عليه إذا غاب صاحب المتجر أن يذهب محلَّه؛ **فهذا لا يجوز إلا في حالين:**

  ✸ **الحال الأولى:** أن يرضى العامل عن ذلك بطيب نفس.

  ✸ **الحال الثانية:** أن يعطيه عوض ما عمل به، جاء في الحديث: **«وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ»**[٤٦]، فهذا من الظلم وعدم الوفاء بالعهد والعقود، فهو أتى كسائق، وهذه الأعمال التي كلفته بها كالحراسة أو فتح المسجد؛ فليس لك الحق أن تلزمه بها، إلا إن تطوَّع هو.

◆ **من المظاهر التي تحصل: أن يأتي بعضهم بخمسة أو ستة من العمالة ويقول له: ائتني بملغ شهري كذا، والباقي لك أيًّا ما تعمل؟.**

- هذا فيه خلاف للنظام العام، وفيه افتئاتٌ على النظام ولا يجوز.

- وبعضهم أيضًا -مع الأسف الشديد- لا يهمه طبيعة العمل، وقد يكون العمل غير جائز شرعًا، أو فيه ظلم للآخرين، وإذا تركهم هملًا ولم يراقبهم ولم يُراعي ما يعملون ولا طبيعة العمل ولا طبيعة اللوائح؛ فهذا افتئات ولا يجوز.

- ومما يقع فيه بعض الكفلاء في ظلم العمالة: تأخير رواتبهم والمماطلة فيها،فلا يجوز تأخير أجورهم، قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»**[٤٧]، وهذا من باب المبادرة والاستعجال في أجرته، إلا أن يثق العامل في الكفيل فيقول له: يبقى مرتبي عندك خمسة شهور أو ستة وتعطينها مرة واحدة، وهذا بحسب الاتفاق والرضا.

◆ **بعضهم يقول: إنَّ هؤلاء العمالة أنا أعطيهم الأكل والشرب والمؤنة اليومية، وهذا المرتب سأعطيهم إياه بحسب ما يحصل لي من أرباح المؤسسة مثلا. فما الحكم؟.**

- هو بحسب الاتفاق، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، العمال جاء بناء على ماذا؟ بناء على أن الإعاشة تُخصم من المرتب؟

---

[٤٦] أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

[٤٧] سنن ابن ماجه (٢٤٤٣)، سنن البيهقي (١١٩٨٨)، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

- فهذا المسكين على بساط واضح، أنَّ لك كذا وعليك كذا، الإشكال والظلم والإجرام أن يُبخَس بعض حقه إما قصرًا أو احتيالًا، لهذا ترى بعض العمال يريق ماء وجهه ويبكي من غبنٍ، يأتي إمام المسجد أو يُكلم أحد المسنين أو يكلم قريب كفيله أو يتذلل! فهذا لا يجوز شرعًا حتى لو كان كافرًا، لو كان ما كان، إذا كان ظلم الحيوان لا يجوز، فكيف بظلم الآدمي، وكيف بظلم المسلم؟ كيف تأخذ حقه؟!

- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- تعوذ من قهر الرجال، بعض العمالة يُصاب بقهر الرجال، ورأيتُهم غير مرَّةٍ تسابق عبراتهم عباراتهم من الغبن والقهر، وكم مرتب المسكين! لا يزيد عن خمسمائة ريال أو ستمائة ريال! أشياء بخسة بالنسبة لما أعطى الله كفيله، ومع ذلك يُماطل، فهذا لا يجوز.

- وهناك نقطة أخرى تتعلق بمرتبات العمالة: وهي أن بعض الكفلاء يعطيهم المرتبات من زكاته، يعني هذا العامل له مرتب ألف ريال، وهذا الكفيل عنده عشرة عمال وزكاته عشرة آلاف ريال كل سنة، فيعطيهم زكاته كمرتبات، فهذا لا يجوز، فالزكاة يستحقها الفقير تملكًا دونَ معاوضة، والزكاة تكون للفقراء والمساكين، أعطِ العمال من حر مالك، أما الزكاة فهي زيادة على مكافآتهم.

- بعض الناس يُخرج زكاته كجوائز لمسابقات يقيمها في الحي، أو مسابقات بين طلاب المدرسة، وقد يأخذ الجائزة شخص أبوه أغنى من صاحب الزكاة هذه، وهذا لا يجوز، فالزكاة لها أصناف معيَّنون محدَّدون بضوابط معروفة، فإعطاء العمال من الزكاة بقصد أنها رواتب شهرية فهذا أخطأ ف حق زكاته، ولم تُبرأ ذمَّته، فهذا الفقير يستحق الزكاة تملُّكًا دونَ معاوضة.

- ومما يتعلق بهؤلاء العمال والخدم: أن بعض الكفلاء يُعاقب جميع العمالة بخطأ واحد، كأن يتلف عمالٌ جهازًا، أو سبب خسارة بتأخره عن عمله؛ فيؤخر الكفيل رواتب الجميع ويقسو على الجميع! فليس له الحق في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وفي الحديث «إنَّ نبيًّا مِنَ الأنبياءِ قَرصتهُ نملةٌ، فأمرَ بقريةِ النَّملِ، فأُحْرِقَت، فأوحى اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهِ: في أن قرصَتكَ نملةٌ، أَهْلَكْتَ أمَّةً منَ الأمَمِ»[٤٨]، فبعض الناس يعاقب الجميع بفعل واحد، وهذا لا يجوز، فالأب إذا أخطأ أولاده ما يُعاقب الجميع، وإنما يُعاقب الذي أخطأ، وهذا الكفيل ربما يكون موظَّفًا، ولو أنَّ شخصًا من زملائه في الوظيفة أخطأ، فعاقبهم المدير أو الأمير أو الوزير بمنع العلاوة لتشكَّى الباقون وتظلَّموا ودعوا على مديرهم.

- إهمال دعوة مَن كان من غير المسلمين، وإهمال إصلاح عقيدة مَن كان في عقيدته لوثٌ وقوادح؛ فهؤلاء مساكين، وقد تكون البيئة عندهم بيئة جهلٍ، وليس هناك تنوُّر علمي عقدي خصوصًا، فيأتي إلى كفيله ويرى كفيله فيه من الحروز الشِّركيَّة عن حسن نية وطيب طويَّة، حتى أن بعض العمال يعلق خرقًا على سيارة كفيله، حتى أني سألت أحدهم له سيارة معلق خلفها خرق سوداء وزرقاء، فقال لي: السواء للجن، والزرقاء للعين، وهذه عن السحر!

---

[٤٨] سنن ابن ماجه (٢٦٢٨)، صححه الألباني.

- فينبغي لمن كان عنده سائق أن يتنبه إلى ذلك، فبعضهم عن حسن نية يضع في مرآة السائق ميدالية عبارة عن عين أو كف، وفي الغالب أنها تكون من الاعتقادات، أو يربط خرقة في صدام السيارة الخلفي أو الأمامي، هو يفعل هذا عن حسن نية، فيُعلَّم الصواب، وينبغي لرب البيت أن يعلم مَن عنده من الخدم العقيدة الصحيحة.

- إصلاح عقائد الخدم ممن كان منهم متلوثًا في عقيدته أو كان غير مسلم بالكلية أمر مهم، وكان سلفنا يقطعون البحار في دعوة الناس للإسلام، والإسلام انتشر هناك بالتُّجار، والآن أتى إلينا في بلدنا أناس غير مسلمين، بعضهم عقائدهم متلوثة بعقائد شركية، فينبغي لرب البيت أن يستعين بالله ثم بوسائل التواصل من البرامج العلمية التي توضح العقيدة السليمة السمحة بأسلوبٍ بسيط وبلغة ذلك الخادم.

بعض الكفلاء يتعمد الإتيان بمكفول كافر، ومن ثم يتجنب دعوته للإسلام، بحجة أنه يعمل ساعات أطول فلا يُصلي، أو لا يصوم. فما توجيهكم؟.

- يُقال: احرص على الإتيان بالمسلمين؛ لأن فيه تقوية لهذه الأسر المسلمة الفقيرة، وفيه زيادة في محبة أولئك المسلمين للإسلام، وتبصرهم للعقيدة السليمة، ومحبتهم لأهل البلد، وقد يكون هذا المسلم لديه أسرة كبيرة، بل إن بعض الخدم الذين عندنا هنا -كما سمعت- أنهم بنوا مساجد، فهناك بناء المساجد ليس كما عندنا من الضخامة، فهؤلاء بنوا مساجد بما أفاء الله عليهم، وأجرها يعود على من استقدمهم بنية إصلاح أحوالهم.

- بعض الكفلاء النَّشاز سواء من أرباب البيوت أو ربَّات البيوت؛ يستحقرون العمال استحقارًا حتَّى يحتقر جنسيتهم ويتهكَّم عليها، أو يناديهم بأسماء الحيوانات ويزدريهم وينتقصهم؛ فهذا حرام حتى ولو كان غير مسلم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، والنداء هنا للمؤمنين، ولكن لا يجوز للمؤمن أن يسخر من هذا العامل المسكين الكافر؛ لأن هذا يكرهه في الإسلام، ويكرهه في القراءة عن الإسلام، فإذا كان مسلمًا فهذا أعظم شناعة، فاحتقار جنسياتهم واحتقار ألوانهم واحتقار ألسنتهم دليل على نقص إيمان الكفيل، ونقص في عقله ومروءته وأخلاقه، فينبغي أن يُعلم أن هذا لا يجوز.

- وأبو ذر الصحابي الجليل قال: كانَ بَيْنِي وبيْنَ رَجُلٍ مِن إخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بأُمِّهِ، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». فقال: يا رسول الله، علَى حَالِ سَاعَتي مِنَ الكِبَرِ؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»[٤٩]، فوصفه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بالجاهلية، وهذا ليس بالشأن الهيِّن، فينبغي مراعاة مشاعر هؤلاء العمالة المساكين.

كثير من الكفلاء يحترم المكفول، ولكن الإشكالات تكون وقت المشاكل حينما يُخطئ المكفول. فكيف يتعامل الكفيل مع المكفول في ضوء المشكلة التي حصلت؟.

---

[٤٩] أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

- الخطأ وارد من الكفيل ومن المكفول، ولكن كما تفضلت إذا كان الخطأ من المكفول فهذا الخطأ إما أن يكون عن عمدٍ أو عن حسن نيَّةٍ، فيُعرف هذا بالقرائن، فهذا الكفيل يعرف هل تعمد هذا العامل الخطأ، يعني سبق أن أخطأ فيه ونُبِّه، أو أنه شخص يُعرف منه الجد والاجتهاد والحرص والعناية ولكن زلَّت قدمه وارتكب خطأً، فلا يُعامل هذا الشخص كالأول، ولكن على افتراض الأمرين فالذي تكرر منه الخطأ فالكفيل له حق اتخاذ قرار ليعاقبه على حسب ما قصر إذا عرف أنه متعمد، أما الثاني الذي لم يتعمَّد فينبغي أن يراعي مشاعره ولا ينسى حرصه السابق، فهذا المسكين اجتهد ثم زلَّ وأخطأ.

◆ **بعضهم يقول: أنا لا أقول إن هذا راتب ثاني، ولكني أذكره إذا قصَّر وأقول له أعطيتك زيادة. فما توجيهكم؟.**

- لا منَّة له عليه، فهذا شيء فرضه الله عليه ليعطيه لأصحابه، وفي الغالب إذا عرف العامل أن هذا الكفيل يعطيه المرتب ويعطيه الزكاة اجتهدَ، ولكن الإشكالية أنه يعطيه الزكاة عوضًا عن المرتب، يعني يأخذ رواتب عماله من زكاته، أو أن يعطيهم زكاةً ثم يطالبهم بمزيدٍ عمل من أجل ما أخذوا من هذا المال الذي هو في الأصل زكاة.

- بعضهم يعطي الفقير زكاة ويقول: أكثروا الدعاء لوالدتي فهي الآن في المستشفى أو في البيت وتشتكي المرض، أو ادعوا الله لي.

- وهنا لفتة علمية لطيفة من شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فيقول: "من أعطى الفقير صدقةً أو زكاة ثم طلب منه الدعاء خرج من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]"، أعطوا الفقير الصدقة، فإن دعا فلك وله، وإن لم يدعُ فأنت على خير.

- فبعض الكفلاء يعطي العمال، ثم يقول: ادعوا الله لي، أو خصُّوا آخر ساعة في الجمعة للدعاء لي! فهذا فيه منَّة وفيه معاوضة عن الصدقة وعن الزكاة.

◆ **هل ورد أن الصدقة سبب لشفاء المريض؟.**

- صحيح، إذا تصدق بنية أنها لله -جَلَّ وَعَلَا- وأما العوض الذي يحصل فهذا عند رب العالمين، لكن الشأن أن تقول: خذْ وادعُ، يعني معاوضة، فهذا هو الإشكال، أما ما جاء في الحديث: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبدٍ مِن صَدَقَةٍ»[٥٠]، وكذلك «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»[٥١]، فهذه نصوص عامَّة وخاصَّة، ولكن الإشكال أن تشترط على من تعطيه الصدقة أن يدعو سواء لك أو من أمرته بالدعاء له.

---

[٥٠] أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (١٨٠٦٠)، صححه الألباني.
[٥١] حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

- وأؤكِّد أنَّ بعضهم يكون نكالًا على العامل المسكين، لا يفرق بين صيف وشتاء، لا يفرق بين وقت صيام وإفطار، هذا عامل مسلم يصوم، فيأمره بعمل في حر الهاجرة، مع أنَّه لو أخَّر هذا العمل في الليل ما ضره شيء ولا ترتب عليه مفسدة.

- يقول لهذا العامل المسكين: قم وغسل السيارات. أو يقول لهذه الخادمة: قومي اكنسي ساحة البيت في الشمس!

- فيُقال لربة البيت: لو أخَّرتي هذا الشيء إلى بعد العصر إذا بردت حرارة الشمس، أو أخَّرتينه إلى الليل أو الفجر؛ فأنتِ مأجورة أجر عظيم، وهذه المسكينة العاملة ترتاح في عملها، وهذا الأمر سيُنفَّذ سواء في حر الظهيرة أو في برد الشتاء، فينبغي أن يُعرف أن هذا العامل المسكين أمانة في عنقه، وأن يرعاه حق رعايته.

- وأُكرِّر مرَّة أخرى أنَّ الزيادة على أعمالهم دون عوض فهذا لا يجوز، فقد يأتي العامل على أن يعمل حارسًا، ثم يوظفه الكفيل في أعمال الأخرى، فلا يُمكن أن يغفل إلا وقت نوم أو دورة مياه، لكن أن يقول له الكفيل: اذهب بالأولاد إلى المدرسة، ثم اذهب الظهر وهات أولاد الجيران، ثم اذهب في الليل بأولاد الجيران إلى حفل زواج وانتظر حتى يرجعون! فهذا لا يجوز شرعًا إلا إذا رضي منك العامل، أو أعطيته عوضًا عن ذلك.

◆ هل من نصيحة عامَّة للكفلاء؟.

- يُقال لهم:

  - **أولا:** تذكروا أن هؤلاء الذين احتاجوا إليكم أن الله قادر على أن يحوجكم لهم

  - **ثانيًا:** تذكروا أن أجدادكم كانوا يرحلون ويهاجرون إلى بلاد في سبيل تحصيل لقمة العيش، وإذا قصَّ الأجداد على الأحفاد ذلك تعجَّب الأحفاد والأسباط عن هؤلاء المساكين، تركوا بلادهم سنوات، أتوا لطلب لقمة العيش.

  - **ثالثًا:** هذا المال الذي آتاك الله إياه أدِّ حقَّ الله فيه من النفقات الواجبة والزكوات، وأيضًا حق أولئك العمالة بلا منَّة من العامل؛ بل هو إجبار عليه بلا منَّة حتى يُبرِّئ ذمَّته.

  - **رابعًا:** أحسنوا إليهم إن الله يحب المحسنين، ترفَّقوا بهم، وخاصَّة إذا لم تروا تقصيرًا في العمل، وكما رأينا وسمعنا أن بعض الكفلاء بعدما يرحل العامل إلى بلده، فيذهب الكفيل ويزور أهل العامل في بلده، وتكون لقطات مؤثرة، فهذا رجل ثري أتى مع أمه إلى قرية في إحدى بلاد المسلمين الفقيرة لير خادمةً كانت عند أمه تخدمها ولما كان صغيرًا تراعيه، فرأت هذا الشاب أصبح الآن رجلًا، أو هذا السائق الذي أتى وهذا الشاب صغيرًا، فأتى إليه الشاب وأصبح متزوجا وله أولاد، فيأتي إلى القرية ويقابل سائقه، فهذه مواقف مؤثرة، ولا شك أن هذا فيه ترابط بين المسلمين، ومحبة وإزالة الشحناء والتعصبات القبلية وما شاكلها.

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

الآداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس السادس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أشياء يراها المسلم في حياته ويسمع عنها.

- نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ [الأنعام: ١١]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].
- وفي حياتنا التي نعيشها نرى أشياءً في أنفسنا وفي بيوتنا وفي أسواقنا وفي مساجدنا؛ هذه الأشياء إمَّا نراها في كل يوم، أو في كل شهرٍ، أو نوازل تحصل بحسب ما يُقدِّر الله، ونسمع أشياء، ونسمع أصواتًا، ومع ذلك تمر هذه الأمور علينا دون أن نعتبر، ودون أن نتأثَّر، ودون أن نتأثَّر!
- والذي يقرأ في سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وفي تربيته لأصحابه يجد كثيرًا من الأحداث والوقائع أنَّ كثيرًا ممَّا يسمعه الناس في حياتهم تُوظَّف فيما يعود عليهم بالنفع.
- فمثل هذه الأمور أحيانًا تزيد الإنسان إيمانًا، وتكون رادعًا له عن تقصيرٍ في طاعة، أو حاثَّةً له في الإقدام على طاعة، وهلمَّ جرًّا.

- ممَّا نراه في حياتنا مثلًا:

✹ **الأمر الأوَّل:** منظر شهري يمرُّ علينا في كل شهر مرَّة، وهذا المنظر هو اكتمال رؤية القمر بدرًا، فإذا اكتمل القمر بدرًا فإن الناس ينظرون له بنظراتٍ مختلفة:

❍ الشعراء تنقدح قرائحهم في الوصف والتَّغزُّل وما شاكل ذلك.

❍ والبلاغيون تنفد محابرهم وتسيل أقلامهم في الوصف والتشبيه وما شاكل ذلك.

❍ وأهل السَّمر تطيب مجالسهم في الليالي المقمرة في الصحراء.

- وكل هذا لا إشكال فيه إذا خلِيَ من المحاذير الشَّرعيَّة، ولكنها نظرة بعين البصر المجرَّد، أنَّ النَّظر إلى هذا المنظر البهي بعين البصيرة قبل البصر فهو نظر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عندما رأى القمر مكتملًا قال: «هلْ تُضارُّونَ»[٥٢]، أي: يصيبكم ضرر. أو «هلْ تُضَامُونَ» يصيبكم زحام «في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟». قالوا: لا. قال: «فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَومَ القِيَامَةِ كَذلكَ»[٥٣]، وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قيل: الزيادة هي رؤية وجه الله تعالى.

- إذن؛ كلما رأى الإنسان القمر مكتملًا ليلة البدر فربطَ هذا الاكتمال بالأمر العقدي، وهو أنَّ أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية وجه الله تعالى، وهذه الرؤية ثابتة بالتَّواتر.

✹ **الأمر الثاني:** أيضًا يتعلق بالقمر، إذا رأينا خُسوفًا للقمر أو كُسوفًا للشمس، والغريزة تحب الاستطلاع، فتدفع الإنسان ليرى في المرصد أو بالعين المجردة، ولا مانع من ذلك لأن الإنسان يُحب الشيء المستغرب، وهذا أمر مألوفٌ للنفوس، لكن تغيب النظرة بعين البصيرة؛ لأنَّ النظر بعين البصر المجرد يشترك فيه جميع طبقات الناس حتى الحيوانات والطيور، أمَّا النظر بعين البصيرة فهي خاصَّة بأهل العلم والإيمان.

- وكانوا في الجاهلية إذا حدث خسوف للقمر أو كسوفٌ للشَّمس قالوا: مات عظيم أو وُلد عظيم، لكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- صحَّح هذا المسار وبيَّن الرؤية بعين البصيرة، والرؤية العقدية بقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتانِ مِن آياتِ اللَّهِ، لا يَخْسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ»[٥٤]، وفيه إبطال اعتقاد الجاهليَّة، وأيضًا أنَّ القمر والشمس آيتان مخلوقتان مربوبتان والله ربهما، والله بارئهما، مخلوقتان والله خالقهما؛ لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته.

---

[٥٢] أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٣).

[٥٣] أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٦٨).

[٥٤] أخرجه البخاري (١٠٤٤) واللفظ له، ومسلم (٩٠١).

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِما عِبادَهُ، وإنَّهُما لا يَنْكَسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فإذا رَأَيْتُمْ مِنْها شيئًا فَصَلُّوا، وادْعُوا اللَّهَ حتَّى يُكْشَفَ ما بكُمْ**»[٥٥].

- إذن؛ إذا رأينا كسوف الشمس أو خسوف القمر فينبغي أن نتذكر أن هذه الآية، تخويف من الله لعباده، ويسارع الإنسان إلى صلاة الكسوف والخسوف، مع ما جاء في السنة من أعمال الصدقات والعتق والتكبير والاستغفار، إلى آخر ذلك.

◆ **هل صحيح أن الخسوف والكسوف يقعان بسبب ذنوب العباد؟**

- الأصل أنهما آيتان يخوف الله بهما مَن شاء من عباده، وبالتَّخويف يزداد الناس أوبةً وتوبةً وكفًّا عن المعاصي، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لَمَّا بلغه الخبر خرج يجر رداءه فزعًا، حتى قيل: كأنَّ الساعة قد قامت؛ وهذا يحصل خوفًا من العقوبة، فهذه الآية لتذكير الناس وتخويفهم حتى يرجعوا ويكفوا عمَّا وقعوا فيه من المعاصي، وكما قال بعض الشراح: إنها لتقريب علامات يوم القيامة.

◆ **بعض الناس يقول: الكسوف والخسوف يكون معروف عند أهل الفلك والحساب. فكيف تكون لتخويف الناس إذا وقعوا في المعاصي؟.**

- لا يمتنع أنّ الله أجرى سننًا كونيَّة كحصول الكسوف والخسوف ويُعلم ذلك عند أهل الفلك من درجات الشمس ومنازل القمر، ولكن يبقى النَّص هو الأصل الشرعي، مثل حصول الرعد، فقد جاء في الحديث عند الترمذي وغيره أنه يسوقه ملَكَ، ويقول أهل الفلك: إذا قابلت شحنة موجبة مع شحنة سالبة في السحاب حصل الرعد؛ فهذا لا مانع منه، ولكن الأصل هو النَّص الشَّرعي، والجمع وارد في مثل هذا.

✸ **الأمر الثالث:** أمر نراه في بيوتنا، يرى الإنسان الأم تحمله وهو صغير وتخاف عليه؛ بل حتى ترى ذلك في بعض الحيوانات كالقطط تحنو على صغارها وتدافع عنهم، فالرحمة من طبيعة البشر ومن طبيعة الحيوانات، فإذا رأينا الأم تحنو على صغيرها، أو رأينا القطة تدافع عن صغيرها، وكذلك بقيَّة الحيوانات تدافع عن صغيرها فهذا منظر مألوف، لكن ماذا قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عندما رأى امرأة تضمُّ رضيعًا لها إلى صدرها؟

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟**». قالوا: معاذ الله يا رسول الله، وهي تقدر على أن تفعل.

- الشاهد هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟**». قالوا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أنْ لا تَطْرَحَهُ. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لَلَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا**»[٥٦].

---

[٥٥] صحيح مسلم (٩١١).
[٥٦] صحيح البخاري (٥٩٩٩).

- فكلما رأى الإنسان هذا المنظر وتذكر رحمة الله زاد حبًّا لله، وزاد حسنَ ظنٍّ بالله، وزاد لله طاعة، وعن معصيته اجتنابًا.

✹ **الأمر الرابع:** أحيانًا يحصل أن الإنسان يُقابل شخصًا لا تألفه نفسه، فينفر منه وينقبض منه، وهذا يقع لأن كل إنسان له مشاعر وأحاسيس، ولكن الإشكال والمحظور أن يحكم على هذا الشَّخص، كأن يطعن في عدالته، يطعن في مُروءته ودينه، يطعن في عقيدته، فهذا النفور لا يشفع للنافر أن يطعن فيه.

- إذا رأيتَ مَن لم تقبله نفسك فليس من حقكَ أن تطعن فيه أو تقدح فيه، أو تشوه سمعته، أو تطعن فيه بأي أسلوب من أساليب الطعن الحسيَّة أو المعنوية، قد يفرّس الشَّخص ويكون عنده دُربَة وخبرة بالناس، وهذا له ضوابط مُعيَّنة.

◆ **بعض الناس يقول: أنا لا أطعن فيه ولا أُشوِّه سمعته، لكن لا أتعامل معه بناء على انقباض نفسي. فما توجيهكم؟.**

- ورد في كتاب "الروح" لابن القيم "أَنَّ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ قال لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا حَسَنٍ، رُبَّمَا شَهِدْتَ وَغِبْنَا، وَرُبَّمَا شَهِدْنَا وَغِبْتَ، ثَلَاثٌ أَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ، هَلْ عِنْدِكَ مِنْهُنَّ عِلْمٌ؟ قَالَ عَلِيٌّ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ خَيْرًا، وَالرَّجُلُ يُبْغِضُ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَرًّا. قَالَ: نَعَمْ[٥٧]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ، وَما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ»[٥٨].

- أحيانًا الإنسان ينقبض ولا يحب أن يتعامل مع شخص معين، ولكن لا يطعن فيه ولا في سمعته أو مروءته، قد لا يرتاح له نفسيًّا، لكن لا يقل عنه أنه لا خير فيه أو أنه فيه من اللؤم.

✹ **الأمر الخامس:** بعض الناس إذا رأى مُبتلى قد انقلبت سيارته، يقول: هذا السائق طائش، هذا السائق مجنون، هذا متهور، وهذا...، وهذا...، وقد يشتمه ويسبُّه، إلى أخره...، وهذه ليست هي النَّظرة الشرعية، قال -عليه الصلاة والسلام: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ»[٥٩]، فبعض الناس يستعمل كل القواميس المتعلقة بالحوادث، لكنه يغفل عن الأدب الشرعي في أن يحمد الإنسان ربه أن عافاه مما ابتلى به الآخرين.

✹ **الأمر السادس:** عند زيادة المريض، فنحن نرى في حياتنا زيارة المرضى، فتجد بعض زوَّار المرضى لا يُحسن التَّعامل مع المريض، وورد في بعض كتب المالكية -عليهم رَحِمَةَ اللهُ- أن أحدهم زار مريضًا من

---

[٥٧] المعجم الأوسط للطبراني (٥٣٧٨).

[٥٨] أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، مسلم (٢٦٣٨).

[٥٩] سنن الترمذي (٣٤٣١) واللفظ له، سنن ابن ماجه (٣٨٩٢)، حسَّنه الألباني في صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه.

أئمَّة المالكيَّة فأخذ يذكر عنده أن فلانًا مات بسبب ذلك المرض، فلان تعاظم مرضه فمات، فهذا الإمام كأي إنسان له مشاعر، فقال له: "يا فلان إذا عدتَّ مريضًا فآنسه وتفاءل عنده، ولا تذكر عنده ما يُكدره، وإذا خرجتَ فلا تعُد إلينا".

- لأنَّ هذا زيارته نكدٌ وكدرٌ، ولهذا فإنَّ بعض الناس إذا زارَ مريضًا؛ تجد المريض يشعر بتحسُّن وراحة، وقد لا يكون له رغبة في الأكل فيأكل، أو لا يرغب في الشرب فيشرب؛ لأنَّ بعض الناس يُحسن التعامل مع المريض، بتفاؤل الخير، وإدخال السرور والحبور عليه.

- فينبغي لمن عاد المريض، ورأى المرضى سواء يعرفهم أو لم يعرفهم أن يتفاعل معهم بإدخال السرور والحبور عليهم.

✸ **الأمر السابع:** أحيانًا في حياتنا نرى أشياء نتعاظمها، يعني طائرات ضخمة، إذا رأينا المحيط، أو رأينا الجبال الهائلة، أي شيء عظيم يُعجَب الإنسان بضخامته وبعظمته، فمثلًا وأنت في الطائرة تمر في خلال سبع ساعات على المحيط الأطلسي حتى تصل أمريكا، انظر إلى عمق الماء، وإلى ما في هذا الماء من الكائنات، وهذه الجبال الضخمة وارتفاعها وما فيها من الحيوانات، وكما قال الجولوجيين: إن جذر الجبل داخل الأرض مثل طوله، فهذه الجبال ضخمة جدًّا.

- فإذا نظرت إلى هذا تذكر عظمة الله تعالى، وهذا الكوكب الذي نعيش فيه واحد من كواكب لا يعلم عددها إلا الله -جَلَّ وَعَلَا- حتى قرأت في بعض المجلات الفلكيَّة أنَّ كوكب الأرض عند الشمس مثل بيضة عند سلَّة بيض، وأن كوكب زحل عند المشتري كبيضة إلى سلة بيض، إلى أن وصل إلى مجرة درب التبانة وقال: إنها كذرَّة واحدة في صحراء واحدة كلها رمال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، فالإنسان يتعاظم هذه الأشياء.

✸ **الأمر الثامن:** أحيانًا نرى في حياتنا فيما يتعلق بالآداب تصرفًا خاطئًا، من الابن مع أبيه، أو من أخ مع أخيه، أيًّا كان هذا التصرف، فأحيانًا بعض الناس يُسيء التعامل مع المتصرف فيزجره، فيكون هذا الزَّجر مُرسِّخًا في نفسه، وهذا الشخص يُعيد الخطأ من باب العزَّة بالإثم؛ لأن الناصح له والمقوِّم له أخطأ في تصرُّفه.

- فيُقال: إذا رأيت تصرُّفًا خاطئًا فتلطَّف في تعديل الخطأ، طبعًا هناك أشياء يكون فيها شدَّة، فلابدَّ أن تتصرف بحكمة، فالشدة تكون في مواضع الشدَّة، واللين في موضع اللين، لكن أن تضع الشدة في موضع اللين والعكس فلا.

- فبعض الناس لا يحسن التصرف، أخطاء قد يكون علاجها بكلمة أو بنظرة، تجده يُقيم الدنيا ولا يُقعدها بالكلام والعتب والتوبيخ، وأحيانًا يصل إلى السَّب، فهذا لا يُصلح وإنما يُفسد، ويهدم ولا يبني، ويُفرق ولا يجمع، فأحسن التصرف.

- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لما جاءه الغلام قال: يا رسول الله، يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فهذا غلام طلب أمرًا شنيعًا، ولكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- استخدم معه أسلوب القلب -كما يُقال في علم الجدل والمناظرات- وهو أن يجعل السائل مسؤولًا، وهذا من أبلغ أساليب الإقناع، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ما قال له: حرام؛ وقلكن قال: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»، فأصبح السائل الآن مسؤولًا. فقال: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟». قال: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ».

- القصد هو الإصلاح بالأسلوب الحكيم، تجد بعض الناس يقول: باللين دائمًا، أو بالشدَّة دائمًا؛ فهذا غير صحيح، وإنما الصحيح هو الأسلوب الحكيم، وهو وضع الشي في موضعه.

✸ **الأمر التاسع:** وهو أخٌ من الرَّضاعة لِمَا سبق. إذا رأيتَ تصرُّفًا طيبًا من الصغير، فينبغي أن تشجِّع الصِّغار، سواء كانوا من أبنائنا أو من قرابتنا، أو أيًّا كان من الجيران، حتى لو لم تعرف.

- أعطيك مثالًا: رجل دخل في صالة انتظار في مطار أو ما شاكله، فدخل مسنٌّ فقام أحد الصغار وأجلس هذا المسن مكانه؛ فينبغي لَمن رأى هذا المنظر أن يدعو للصغير وأن يُثني عليه؛ لأن هذا عمل طيب، وما يتركه يذهب هكذا، فهو لا شكَّ أنه أصاب، وينبغي لمن رآه أن يستغل أن يوظِّف هذا الأمر.

- وفي حياتنا تمر علينا أمور كثيرة، ومع الأسف نتجاهل الثناء عليها، مع أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان إذا رأى خصالًا حميدة مدح صاحبها، كقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- للأشجِّ بن عبد قيس: «إنَّ فيك خَصلَتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ الحِلمُ والأناةُ»[٦٠]، فينبغي للإنسان أن يحمد ويُثني بقدر، فلا يُبالغ فيخرج عن الحد الشرعي، وأيضًا لا يجفو ولا يبخل، فكلمة الثناء قد تغيِّر تاريخ حياة الشخص.

✸ **الأمر العاشر:** يرى الإنسان وسائل التَّقنية الهائلة هذه، ويرى مواقع بالملايين، فيتعجَّب من الشبكة هذه، ففيها علم الشريعة، وعلم الفلك، علم الجولوجيا، علم الفيزياء، وعلم الكيمياء، علم النفس، علم الاجتماع، علم الرياضيات؛ بجميع اللغات وبالصُّور والصوت، شيءٌ هائل، لو عُمِّرَ الإنسان عمرَ نوحٍ -عليه السلام- لم يستطيع أن يرى ويسمع ويقرأ كل ما في هذه الشبكة. لأنه شيء هائل يتعجَّب منه الإنسان، بضغطة زر ترى آلاف المعلومات، فإذا رأى الإنسان هذا الكم الهائل يهول أمره في نفسه إذا تذكر قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ثم تذكر أن هذه التقنية والآلات من صنع البشر، وتذكر أن صانعها من صنع الله ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وتذكر أن هذه المخلوقات كلها مردها إلى الله.

- فإذا كانت كل هذه المعلومات بكل هذه اللغات؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وكما قال الخضر -عليه السلام- لموسى -عليه السلام- لما جاء طائر ونقر البحر: "يا موسى ما

---

[٦٠] صحيح مسلم (١٧).

علمي وعلمك عند علم الله إلا كما أخذ الطائر من البحر"، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

- الشاهد: أنَّ التفكر في هذه الشَّبكة ينبغي أن يزيد العبد إيمانًا بربه، وتعظيمًا لشأن الله، فوسائل التواصل هذه سواء كانت المقروءة أو المسموعة أو المرئية؛ كل هذه الأمور من صنع الله الذي أتقن كل شيء.

الأمر الحادي عشر: إذا رأى الإنسان في منامه أشياء يأنس بها، أو أشياء مفزعة فهناك آداب، فأحيانًا يرى الإنسان رؤيا فيخشى أو يخاف منها؛ لأنها مفزعة ومخيفة، وقد يبكي ويصرخ منها.

- فيُقال: **الآداب الشرعية إذا رأيت ما يُفزعك ويُخيفك:**
  - أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.
  - أن يتعوَّذ من شر تلكا لرؤية.
  - أن يتفل عن يساره ثلاثة.
  - أن يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.
  - إذا عاد إلى فراشه يُغيِّر الجنب الذي كان عليه.
  - لا يُحدِّث بها أحدًا ويُحسن الظَّن بالله ويتفقَّد نفسه.
  - إذا رأى ما يُحب يُحدِّث بها مَن يُحب، فبعض الناس يحسد ويتغيَّظ إذا رأى أن أخاه رأى رؤية طيبة، ولهذا كان من فقه يعقوب -عليه السلام- أن قال ليوسف: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].
- فإذا رأى الإنسان ما يحب في منامه فيُحدِّث به مَن يُحب، وليطلب تفسيرها عند عالم أو ناصح، ولا تقص رؤياك إلا على عام أو ناصح، وليس كل مَن تصدَّى لتعبير الرؤى يُسأل، فقد يتصدر الجاهل ومَن لا يُعرَف بعلم، ولا شكَّ أنَّ هناك من يحذق التعبير، فالإنسان لا يسأل إلا مَن كان متوثِّقًا أنه عالمٌ أو ناصح.

هل يُشرع السعي لطلب تعبير الرؤيا؟.

- لا، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان يقول: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟»[٦١]، يعرض هذا على من يحضره، ولا مانع أن يسأل الإنسان عن رؤياه إن كان فيها نوعُ إيهام فيستوضح، وبعض المعبِّرين -ما شاء الله تبارك الله- عنده فراسة وبُعد نظر وتوفيق من الله -جَلَّ وَعَلَا.

بعض المعبرين يعطي تعبيرًا خاطئًا أو تعبيرًا فيه إشكال أو فيه اتّهام. فما توجهكم؟.

[٦١] صحيح البخاري (١٣٨٦).

- نعم، بعض الناس -نعوذ بالله- يوظِّف عصبيَّته وهواه إلى تعبير الرؤى، فإذا أتى أحد ورأى رؤيا يتكلَّف ويتعسَّف في ليِّ عنقها حتى توافق ما يهوى أو ما اشرأبَّت به نفسه، ولو كان يعرف أنها تخالف ولكن من باب التَّكلُّف.
- قال الشافعي: "لا يستدل برؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنَّة". فليس كل ما يراه الإنسان حقًّا، وحتى لو كان حقًّا ما ينبغي أن يُجعل كقطع النص الشرعي، ولكن يستأنس بها.
- أما أضغاث الأحلام فهو أن يرى الشخص أشياء متناقضة، جاء رجلٌ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله، إني رأيت رأسي قد قُطعت وتتدحرج وأنا أتبعه. فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ**»[٦٢].

➢ **{ننتقل الآن إلى القسم الآخر، وهو ما يُسمَع}.**

- أنا سأذكره باختصار؛ نحن نسمع في حياتنا أصواتًا مختلفة، وجاء الشرع بكل ما يُصلح الناس وفيه خير لهم، ومن ذلك ما يتعلق بالأصوات، فمثلًا:

☑ **الأمر الأول:** إذا سمعت صوت القارئ فأنصت، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- وهناك فرق بين السامع والمستمع:
- يُقال في الأحكام الفقهية: إذا مرَّ القارئ بسجود التلاوة؛ فالأفضل أن يسجد مَن كان مستمعًا، أما من كان سامعًا عرضًا فله الخيار.
- فأحيانًا يقرأ القارئ، وهذا يُكلم هذا، وهذا يكلم هذا، وهذا منافٍ للأدب الشرعي، أما لو شخص تكلَّمَ وهناك أشخاص يتهامسون؛ فهذا لا يليق بالأدب، فكيف إذا كان يقرأ كلام الله -عز وجل؟!

☑ **الأمر الثاني:** إذا سمعنا صوت الأذان، فينبغي لنا المتابعة؛ لأن فيه أجر عظيم، فمن أجور متابعة المؤذن حصول الشفاعة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إذا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ**»[٦٣]، فالمؤذن ما يستغرق إلا دقيقة أو دقيقتين.

☑ **الأمر الثالث:** إذا سمعنا صوت الرياح، فجاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ، وخَيْرِ مَا فِيهَا، وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وشرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»[٦٤].

---

[٦٢] صحيح مسلم (٢٢٦٨).
[٦٣] صحيح مسلم (٣٨٤).
[٦٤] أخرجه الترمذي (٢٢٥٢) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٧٦٩)، وأحمد (٢١١٧٦)، صححه الألباني.

☑ **الأمر الرابع:** إذا سمعنا صوت المطر أو رأيناه، فجاء في الحديث: **«اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»**[٦٥]، وفي حديث آخر عند أبي داود: **«مطرنا بفضل الله ورحمته»**، وإذا كثر المطر وخشي الضرر قال: **«للَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا»**[٦٦].

☑ **الأمر الخامس:** صوت الرعد، فورد عن الزبير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: "سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته"، وليس هذا ملزمًا، لأنَّه من كلام الصحابي، ولعلَّ المناسبة ظاهرة بين التسبيح وصوت الرَّعد بنص الآية.

☑ **الأمر السادس:** إذا سمعنا صوت الديكة عند الصياح، فينبغي أن تسأل الله من فضله فإنه رأت ملكًا، قال -صلى الله عليه وسلم: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»**[٦٧]، وهذا خاصَّة عند أصحاب المزارع، أما مَن سمع صوت الدِّيك في التسجيل أو في المذياع فلا ينطبق عليه ما قلنا.

☑ **الأمر السابع:** إذا سمعنا صوت نباح الكلاب، فقد جاء في الحديث: **«وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»**[٦٨]، وجاء في بعض الألفاظ **«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ»**[٦٩]، فالنص جاء بالعموم وبالخصوص، فيكون في الليل آكد.

☑ **الأمر الثامن:** إذا سمعنا نهيق الحمار، فقد جاء في الحديث: **«وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»**[٧٠].

☑ **الأمر التاسع:** إذا سمعنا مَن يغتاب، فبعض الناس يُخطئ، فيتركه حتى ينتهي من غيبته ثم يقول: هذه غيبة؛ لا، تلطف في صرف الحديث عن مجراه، إما أن تقول له: يا فلان لو ذكرتَ لنا خبر كذا أو كذا...، قد يفهم مرادك فيصرف الحديث عن وجهه، وقد لا يفهم، فبيّن له أن هذه غيبة حتى لا يستمر فيأثم المتكلِّم والسَّامع.

☑ **الأمر العاشر:** إذا سمعتَ فائدةً علميَّة فبادر بنقلها إلى الآخرين حتى تتسع دائرة النفع، ويُؤجر من حدَّثك بها، وتُؤجر أنت ومَن حدَّث بها مِن خلفك، لا ينقص من أجورهم شيئًا، فكم نسمع من الفوائد سواء في مجالسنا أو من المذياع، أو مما نرى؛ فزكاة العلم العمل به وتبليغه إلى الآخرين، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

[٦٥] صحيح البخاري (١٠٣٢).
[٦٦] أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).
[٦٧] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).
[٦٨] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).
[٦٩] رواه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
[٧٠] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).

الدرس السابع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

◆ كيفية التعامل مع المصائب، فهل من توطئةٍ -فضيلة الشيخ- عن المصائب وأسبابها وما يتعلق بذلك؟.

- هذه الدنيا كما قال الله تعالى عنها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فالإنسان يُكابد نفسه ويُكابدُ أهل بيته، ويُكابدُ أصحابه، ويُكابد من يتعامل معه، وهكذا تستمر الحياة والناس في إقبال وإدبار، وارتفاع وانخفاض، وجهاد لبعضهم بعضًا، وهلمَّ جرًّا.
- ولا تصفو الحياة لأحدٍ، ومَن يرى في حياة الناس أو في حياته شخصيًّا تمرُّ عليه ساعات أتراح وساعات أفراح، وساعات آلام وساعات آمال، وسبحان الله! فهذا من حكمة الله تعالى، ولو كانت الحياة على سَنَنٍ واحدة فلن تصفو لأحد؛ ولأنَّ الإنسان لن يعرف الراحة إلا إذا سمع عن الخوف، ولا يعرف طعم الصحة إلا إذا رأى من ابتُلي، وهلمَّ جرًّا.
- ولكن في الجنة هناك الحياة الأبديَّة السَّرمديَّة لها وضعٌ وشأنٌ آخر، جعلنا الله والجميع من أهلها.

- شاهد القول: أنَّ للمصائب أسباب، وبعض الناس يفتقد الرَّبط بين المصيبة والسبب، أو يفتقد أن المصائب لها أسباب، يظن إذا جاءت المصيبة أنه ليس لعمله القلبي ولا الجوارح أي تعلق بها، وهذا خلاف الصحيح.
  - ❖ **السبب الأول من أسباب وقوع المصائب:** قد تكون المصيبة عُقوبة مُعجَّلة، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ونفهم من هذه الآية ومن مثيلاتها أنَّ المصيبة قد تكون بسبب المصاب بنفسه.
  - ❖ **السبب الثاني من أسباب وقوع المصائب:** أن تكون المصيبة كفَّارة لذنوبٍ سالفة قد ينساها العبد، ولكن الله لا ينساها، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ**»[٧١]، فهذه المصيبة قد تكون كفارة للعبد، وجاء في الحديث: «**عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له**»[٧٢]، ومن الخيرية: تكفير الذنوب التي نسيها العبد.
  - ❖ **السبب الثالث:** أن تكون المصيبة رفعةً للعبد، وبعض الناس يقول كلمة لا تصح عقديًّا، فإذا أُصيب شخص بمرض يقول: "والله ليس من حقه، ولا يستحق هذا الشيء"! لأنهم ربطوا أن المصيبة لا تكون إلا عقوبة!
- <u>والصواب أنَّ المصيبة قد تكون رفعة لصاحبها</u>، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ قَالَ أَبُو دَاوُد زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى**»[٧٣]، فهذه المصيبة قد تكون سببًا لترقية العبد إلى منزلة في الجنة لا يبلغها بعمله، فسلط الله عليه المصيبة حكمةً ورحمةً حتى يفوز بهذا المقعد، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لَكِ مِنَ الأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ**»[٧٤].
- ونرى في بيوتنا مسنّينَ ومسنَّات لا يفتر لسانهم عن ذكر الله تعالى، ويحمدون الله على كل حال، ومع ذلك تجدهم من مرضٍ إلى مرضٍ، فيُقال من باب الظَّن الحسن والتَّفاؤل لهم: إنَّ هذه البلايا المتنوّعة لهؤلاء -ولغيرهم- إنَّما هي رفعة لمنازلهم في جنات النَّعيم.
- وهذه المصائب التي تقع على آحاد الناس أو على جماعاتهم يختلف الناس في طرق التَّعامل معها، مثل الامتحان الدراسي، أو المرض، شخص عند إجراء عمليَّة؛ تجد الناس في قلق وفي فزع وخوف وإحباط وقنوط، وكل ما كُلِّم أغلق الباب، كل ما يطلب منه أحد أن يتفاءل تجده يتشاءم؛ فهذا في الحقيقة لو كان مرضه صغير قد يتضاعف المرض بالحالة النفسية، بينما آخرون قد يكون عندم مرض خطير ومُقرَّر لهم

---

[٧١] صحيح البخاري (٥٦٤١).

[٧٢] صحيح مسلم (٩٢٢٢).

[٧٣] أخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، وأحمد (٢٢٣٩٢) واللفظ له، صححه الألباني.

[٧٤] صحيح الجامع للألباني (٢١٦٠)، وأخرجه البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١) بلفظ وَلَكِنَّهَا علَى قَدْرِ نَصَبِكِ".

عملية وتجد عندهم من التفاؤل وحسن الظن وكثرة الدعاء يختلف اختلافًا جذريًا عن سابقهم، وهذا يؤثر تأثيرًا نفسيًا وتأثيرًا جَوَارِحيًّا، فهذا قد نُعنون له بعنوان: "كيفية التعامل مع المصائب"، **ونقسم هذا التعامل إلى قسمين:**

- تارة يكون التعامل مع المصيبة مُخفِّفًا لها مع عظيم أجر صاحبها.
- وتارة يكون التعامل مع المصيبة مثقِّلًا لها ومضاعفًا لها مع عظيم وزر صاحبها.

- وقيَّدتُّ بعض النقاط في كيفية تعامل الإنسان مع المصيبة حتى يُخفف هذا المصاب ويحصل الأجر له:

☑ **الأمر الأول:** حسن الظَّن بالله تعالى، قال تعالى في الخبر القدسي: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيرًا فَلَه وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَه»**[٧٥]، ولو جعل المصاب نصبَ عينيه هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**﴾ [الشورى: ١٩]، وحديث: **«لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِن هذِه بِوَلَدِهَا»**[٧٦] تخفف عليه كثير من المصائب.

☑ **الأمر الثاني:** أن يتذكر هذا المريض أو هذا المصاب أو هذا المبتلى أنَّ الله تعالى أرحم به من أمه وأبيه، ومن صاحبته وأخيه، ومن فصيلته التي يؤوي، ومن في الأرض جميعًا، كل هؤلاء الخلق لو اجتمعت رحماتهم فالله تعالى أرحم بهذا العبد من جميع الخلائق به، فهذا يُخفف المصيبة، فإذا علم أنَّ الله قادرٌ وأحسنَ ظنَّه بالله، وتخيل سعة رحمة الله، وتذكر قول الله -جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ»**[٧٧]، فإذا تذكر هذا زاد يقينه بالله.

◆ **كيف يكون حسن الظن بالله واقعيًّا، وما هي أساليبه العملية؟**

❍ **الأمر الأول:** من حسن الظَّن أن تعلم أن الله تعالى حكيم، لا يختار للعبد إلا الخير، حتى قيل: لو وُضعت الأقدار كالأعواد وقيل للعبد اختر، فقد يختار شيئًا لا يصلحه، فالله تعالى لا يختار للعبد إلا أحسن الأقدار، وحسن الظن بالله أن تعتقد أن الله ما صرفك إلا رحمة بك، فتزداد حبًّا لله وطواعيةً وتسليمًا لقضاء الله وقدره.

❍ **الأمر الثاني:** فلو أنَّ الإنسان ابتُلِيَ بمرضٍ فجأة فعليه أن يحسن الظَّن بالله، هل ظلمك الله؟ معاذ الله!

ربما ابتلاك بهذا المرض ليصرفك عمَّا هو أعظم، وربمَّا ابتلاك ليُضاعف أجرك، وإذا أحسن العبدُ الظَّنَّ بالله أصبح يُناجي الله بلذَّةٍ وحلاوةٍ لا يعلمها إلَّا مَن ذاقها أو رأى مَن ذاقها.

---

[٧٥] أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٤١) واللفظ له.

[٧٦] أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

[٧٧] أخرجه البخاري (٦٠٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٢).

❍ **الأمر الثالث:** أن يصبر ويحتسب، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ**»، قال: "كله" ولم يقل: "بعضه"، ولكن بشرط: «**إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له**»، ثم جاء التأكيد مرَّة أخرى بقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ**»؛ لأنه يعرف أن هذا من قضاء الله، ويحسن الظن بالله، وأنها من حكمة الله؛ فيزداد لله شكرًا عند المسرَّات، ويزداد لله صبرًا واحتسابًا عند المكروهات والمصائب.

❍ **الأمر الرابع:** استعمال الألفاظ الشرعية عندها، والابتعاد عمَّا جاء به التَّحذير من الألفاظ الأخرى، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦]، فبعض الناس يلهج لسانه بهذه العبارة عند المصيبة، عظُمَت أو دقَّت، يلهج لسانه في كل حال.

- وجاء التَّخصيص بألفاظ يُقاس عليها ما شاكلها، كما جاء في الحديث: «**فلا تَقُلْ لو أنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[٧٨]، فـ "لو" مفتاح صغير لباب من الشر كبير، فدائمًا نقول: "اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي"، "إنا لله وإنا إليه راجعون"، أو دعاء عام "اللهم ثبت قلبي، اللهم صبرني، اللهم أعني".
- **فائدة:** كلمة "لو" بعض الناس يمنعها على إطلاقها، وهذا ليس بصحيح، **وإنما "لو" تنقسم إلى أقسامٍ أربعة:**
  - **الأول:** يأثم صاحبها: إذا اعترض على قضاء الله، كان يقول: لو أنِّي ما سافرتُ لما وقع الحادث.
  - **الثاني:** يأثم صاحبها عند تمنِّي فعل الشر، كأن يقول: لو أني عندي مال لطبعتُ كتبًا تحارب السنَّة والتوحيد.
  - **الثالث:** إذا تمنَّى فعل الخير، كأن يقول: لو أنِّي عندي مالًا لبنيتُ مسجدًا، أو لأطعمتُ الفقراء والمساكين.
  - **الرابع:** لا أجر فيها ولا وزر، كأن تقول لصاحبك: المسجد من ها هنا، ولو أتيت من الطريق الثاني لكان أقرب، فهذه لي فيها اعتراض ولا فيها تمني فعل الشر أو الخير.
  - **الخامس:** تذكر كثرة نعم الله عليك.
  - **السادس:** تذكر مَن هو أعظم مُصابًا منه، فإذا أصيب الإنسان في قدمه بكسر أو جرحٍ، ثم رأى في المستشفيات مَن فقد قدميه، وهناك كتاب اسمه "دع القلق وابدأ الحياة"، ألفه مؤلف فرنسي اسمه دايل كارنجي، والشيخ ابن السعدي هذَّبه واختصره في كتابه "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة"، وما في كتاب دايل كارنجي في الغالب يوافق الفطرة، وأذكر فيما قرأت فيه أنَّه دخل مستشفى وكان قد أصيب في قدمه ويمسك عكازًا، وكان يمشي في الحديقة كل يومٍ، وكان يتألم في مشيه من الجبس وينظر للحياة بنظرة سوداويَّة متشائمة، فرأى في نفس الحديقة شخصًا يدفعُ شيخًا في عربة؛ لأنه قد فقد قدميه ويضحك، فنظر له وقال: هذا يضحك وقد فقد قدميه، وأنا متشائم ومعي قدم سليمة وقدم الثاني تُعالج! فالإنسان يتذكر من هو أعظم منه مصابًا.

---

[٧٨] صحيح مسلم (٢٦٦٤).

- <u>من رأى مَن هو أعظم منه مصابًا خفَّت عنه المصيبة، وصاحب الطاعة إذا رأى مَن هو أعظم منه طاعة نشط وسأل الله الزيادة.</u> فإذا رأى مَن هو أقل منه حمد الله وما شمت، فانظر في الطاعات إلى مَن هو أعلى منك لتنشط وترتقي، وإذا رأيتَ من هو أقل منك لا تزدريه؛ بل احمد الله، واسأل الله له التوفيق، وانشط أنتَ في عبادتك.
- هناك أسباب تجعل المصيبة الصغيرة تكبُر، والوزر يعظُم، بعكس الأوَّلةِ، فالأوَّلةُ أنَّ المصيبةَ الكبيرةَ تصغرُ مع عظيمِ الأجرِ إذا تعاملَ معها بالتَّعامل السَّابق ذكره، وبعض النَّاس يتعامل تعاملًا مع المصيبة الصغيرة يجعلها تكبر ويحمل الوزر، ويقل أجره أو ينعدم.
- **فتارة يكون التعامل مع المصائب مضاعفًا لها مع وزر صاحبها، وهذا لأسباب:**
  - **الأول:** سوء الظن بالله، وما يصاحبه من جزع وتسخُّط، وكثرة التشاؤم، فهذا -نعوذ بالله- لم يحسن الظن بالله، وما تأدَّب مع الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذا الأمر وتشاؤم، وهذا التشاؤم قد يفتح عليه أبوابًا من الشر الحسي والمعنوي، والمصيبة ستعظُم وأجره سيخف وقد ينقلب الأجر إلى وزر.
  - **الثاني:** الاعتراض على قضاء الله وقدره، وكما تقدَّم أنَّ الألفاظ الشرعية هي المطلوبة، وعن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- أنها قالت: "كان إذا رأى ما يُسَرُّ به قالَ: **«الحمدُ للَّهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ»**، وإذا رأى شيئًا مما يَكْرَهُه قالَ: **«الحمدُ للَّهِ علَى كلِّ حالٍ»**"[٧٩].
- من الألفاظ التي تُقال عند المصائب:
  - ✓ إنا لله وإنا إليه راجعون.
  - ✓ قدَّر الله وما شاء فعل.
  - ✓ الحمد لله على كل حال.
  - **ثالثًا:** التَّأخر عن الطاعات، مثلًا: شخص مُصاب بمرض في قدمه، تجده لا يصلي الفرض إلا متأخرًا، وأولى ما يستعين به المريض بعد الله هو الطاعات والفرائض، وإذا كان الإنسان يتأخر عن الفرائض فلا شك أنه يترك الأذكار الشرعية والدعاء والنوافل. ويُقال: هذه المصيبة كان للشيطان فيها نصيب، فثقَّل عليك بعض الفرائض!
  - **رابعًا:** كثرة ذكر المصيبة تشكِّيًا، وأذكر الشيخ عبد الله بن جار الله أحد مشايخي وممن له فضل عليَّ بعد الله، رحمه الله وأسكنه الله جنَّته وبارك في ذريَّته، وهو من أجب ما رأيتُ من الناس، فإذا سألته عن أحواله قال: إخبارًا لا شكوى.... ثم يبدأ بالحديث، ما تضجَّر ولا اكفهرَّ، فهذا هو الشيخ عبد الله أكبر منِّي سنًّا وأكبر منِّي علمًا وقدرًا، ومحبَّةً عند الناس، ومع ذلك مبتلًى ومصابر ومحتسب، وهذا الشيخ عبد الله بن جار الله له عليَّ فضل بعد الله في توجيهه ونُصحه، بل في قدوته الفعليَّة والقوليَّة، وفي صبره وعدم تشكِّيه أمام طلابه؛ فهذا مدرسة.

---

[٧٩] أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، والطبراني في ((الأوسط)) (١/٦٧٧)، والحاكم (٦/٣٧٥) باختلاف يسير، صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٤٠).

بعضهم يتشكَّى ليس من باب التَّضجُّر، مثل مقولة الشيخ عبد الله بن جار الله -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- "إخبارًا لا شكوى"؛ فهل فيه إشكال؟.

- نعم، الفرق بين المشاعر أثناء الكلام والعبارات المصاحبة، تجد من يقول لك: إخبارًا لا شكوى، أنا دائمًا في نكد، وأنا دائمًا في ابتلاءات،... هذا شكوى وتضجُّر.
- ولكن قول الشيخ عبد الله بن جار الله كان: إخبارًا لا شكوى، الحمد لله الألم لم ينقطع، وآخذ علاجًا يؤثِّر عليّ، والله يعينني على الصبر، ويرزقنا الاحتساب. فأنت تسمعه وتقول: الله يعين الشيخ عبد الله! فهنا الشيخ يذكر حاله بكل ثقة وتؤدة، ولا ترد في عباراته عبارات تجزُّع وتسخُّط، وإنَّما تشكُّر واحتساب وصبر.

من ثمار المصائب:

- **أولًا:** زيادة ترسُّخ عز الألوهيَّة في شأن المبتلى، فيعرف أن هذه المقادير بيد الله تعالى، وأنه لا يستطيع أحد أن يُدبِّر أو يُؤخِّر أو يتصرف إلَّا الله -عزَّ وجل- فهذا توحيد ألوهية وربوبيَّة.

وكما قال أهل العقيد: جميع آيات توحيد الربوبيَّة التي ذكرها الله نصها ومفهومها ولازمها توحيد الألوهية.

- **ثانيًا:** زيادة ترسُّخ ذل العبوديَّة، فالمتكبِّر ينكسر كبره، والمتعاظم يتخاذل، والمتفاخر ينخذل، وهلم جرًّا، فإنسان يرى نفسه أقوى الناس وأعظمهم ويتكبَّر، فإذا أصابه المرض سقطَ على الفراش، فإن كان ممن وفَّقه عرف ضعف الإنسان وهوانه إذا تعاظم على الله، ويعرف حقيقة نفسه أنه مهما بلغ في الجاه والمال أنه ذليل بعز الله تعالى.
- **ثالثًا:** أنَّ المصائب قد تكون من أبواب الخير، كلجوء العبد وافتقاره إلى الله، هناك أناسٌ كان فيهم قسوة وفيهم غلظة، ومتلوثين بالمعاصي ومظالم الناس والعقوق؛ فلما أُصيبوا استكانوا، وكانت المصيبة طريق ممهَّد يسلكونه بعد شفائهم، فكانت خيرًا لهم.
- **رابعًا:** كثرة التَّضرُّع لله تعالى، فبعض الناس قد لا يدعو، ولكن لمَّا مرض أصبح لسانه لا يفتر عن الدعاء، فهذا خيرٌ له.
- **خامسًا:** ترويض النفس على الإيمان بقضاء الله وقدره، فبعض الناس يتألَّم من القضاء والقدر، فإذا وطَّن نفسه وعلم أن هذا المصيبة من قدر الله، وأنه لو اجتمع الإنس والجن والملائكة وكان بعضهم لبعض ظهيرًا لم يستطيعوا تقديمه أو تأخيره، ولا كشف الضر ولا تحويله، فهم لا يكشفون الضر ولا يُمكنهم تحويله من مكان إلى مكان إلا بإذن الله.
- **سادسًا:** معرفة قدر نعمة العافية، فالإنسان لا يعرف قدر النِّعمة إلَّا إذا فقدها، أو رأى مَن فقدها -إذا وفَّقه الله.

يقول أحد الفضلاء زرته قبل أيام وقد أصيب في قدمه، فقال: والله كل مَن زارني أنظرُ لأقدامه، وأنا عمر فوق الخمسين وما فكَّرتُ في قدمي قبل ذلك، ولكن لما أصبتُ ورأيتُ الناس يمشون وأقدامهم سليمة سألت الله تعالى العافية، وعرفت قدر نعمة المشي.

✱ **سابعًا:** تمنع وتؤدِّب صاحبها من الكبر، بعض الناس يكون فيه عجرفة وعنف مع والديه ومع الناس، فإذا أُصيب -ووفقه الله- تتغيَّر أخلاقه، وتتهذَّب آدابه.

✱ **ثامنًا:** المصائب كفارة للذنوب، فتقدَّم أن المصيبة إذا صبر صاحبها فمن ثمارها تكفير ذنوبه كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ»**.

✱ **تاسعًا:** عظيمُ ثواب المصاب في الآخرة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ قَالَ أَبُو دَاوُد زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى»**، وأيضًا قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لَكِ مِنَ الأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ»**.

✱ **عاشرًا:** ثمار خفيَّة لا يدركها العبد، قد يرى بوادر التوفيق في حياته المستقبليَّة فيقول: أنى لي هذا! أنا الآن كنتُ على وشك الخسارة أو الموت ثم نجاني الله!

فنقول: قد يكون صبرك في المصيبة واحتسابك وعدم التَّسخُّط على أقدار الله وحسن الظَّنِّ بالله مدَّخر لك، والله تعالى يُعطي مَن يشاء بفضله، ويمنع مَن يشاء بعدله، ولا يظلم ربك أحدًا.

✱ **الحادي عشر:** محاسبة النفس، بعض الناس إذا ألَمَّت به المصيبة يبدأ يُراجع نفسه، يقول ابن القيم في كتاب الروح "من أحسن أوقات المحاسبة إذا خلي الإنسان بنفسه عند النوم"، فإذا بدأ الإنسان عند النوم أن يسترجع ويُحاسب نفسه فيعرف أنه قصَّر في حق فلان وفلان، فيبدأ ينوي ترقيع الخلل، وسؤال الله الزيادة من فضله.

✱ **الثاني عشر:** بعض المرضى يُفيد غيره حتى في مرضه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، يأتي أناس يعودونه، فيرون من صبره واحتسابه ورضاه وبشاشته ما يُعطيهم دروسًا لهم في مستقبل حياته إذا أُصيب بمصيبة، أو كان أحد الزُّوار عنده مصيبة فيقول: هذا على فراش المرض وعنده مرض خطير، ومع ذلك تجد عند الصبر والاحتساب والتَّشكُّر لله -جَلَّ وَعَلَا- وعد التَّضجُّر؛ فيُخفِّف على الزَّوَّار والعُوَّاد مصابهم دون أن يشعر هو، وهذا بعكس بعض المرضى إذا دخلت عليه تجد فيه -والعياذ بالله- يأسًا وقنوطًا وإحباطًا يزيد الزُّوَّار ألمًا.

✱ **الثالث عشر:** أجر العفو على مَن تسبب في مصيبة، شخص صدم واحدًا بالسيارة، أو أخطأ عليه فضربه، فهذا المصاب قد يعفو عمن اعتدى عليه مع أن له حق، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، فله حق الانتصار، ولكن من عفا وصفح فأجره على الله، وهو بذلك يستفيد أجر المصاب، ومن اعتدى عليه قد يتأثَّر بعفوه فيزداد سلوكًا من منهج الصواب. والله تعالى أعلم.

◆ **بعض الناس يقول: أدرك أنَّ المصائب يجب فيها الصبر، والرضا له أجر عظيم، ولكن أريد وسائل واقعيَّة تجعلني أصبر وأتعامل مع المصائب بهذا الأسلوب بشكل مناسب لي؟.**

- يُقال: هناك أمور ثلاثة:

☑ **الأول:** قراءة أخبار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وما أصيب به من الأقدار المؤلمة، وكذلك الصحابة، فسترى عجب العجاب، حادثة الإفك لأمنا عائشة، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ابتُليَ وأُخرِجَ.

☑ **الثاني:** أن تُجالس كبار السن، فكبار السن هؤلاء مدارس يا شيخ، ومع الأسف فصولها فارغة، فعندهم من الخبرات من معترك الحياة وخبرة السنين الشَّيء العجيب.

☑ **الثالث:** أن تزور المرضى في المستشفيات، وترى بنفسك وبعين البصر والبصيرة المرضى، وتعودهم وتتحدَّث مهم وسترى عجبًا، ترى شخصًا له يومان في المستشفى ومحبط، وآخر له أشهر ومع ذلك في صبرٍ واحتسابٍ فتستفيد منهم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثامن



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

سلوكيَّاتٍ خفيَّة.

- الأخلاق في الإسلام لها منزلةٌ رفيعةٌ ومكانةٌ عظيمةٌ، وقد صنَّفَ أهل العلم مصنَّفات كثيرة ما بينَ منثورٍ ومنظومٍ فيما يتعلق بالأخلاق، وموردهم في ذلك ما جاء من النصوص القرآنية والنَّبويَّة، وأُثِرَ عن الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ومَن تبعهم بإحسانٍ.
- والأخلاق نوع من التَّعبُّد لله تعالى، فكما أنَّ الصيام عبادة، والصلاة عبادة، وقراءة القرآن عبادة؛ فكذلك الأخلاق عبادة، بل قد يفضل صاحب الخلق على المتعبد بالصيام والقيام، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ المؤمِنَ ليُدْرِكُ بِحُسْنِ الخلُقِ درجَةَ القائِمِ الصائِمِ»**[٨٠]، ويزيد بتقواه إذا كان أكثر تقوى لله -عز وجل.
- سوف أذكرُ بعض سلوكيَّات خفيَّة، وهي من الأخلاق، فإنَّ الأخلاق شيء ظاهري في الجوارح، وقد يخفى مقصده ونيَّته، فقد يتصرَّف بجوارحه فيتكلَّم أو يفعل، ولكن قد يُبطن شيئًا ليس من الخلق القويم.

---

[٨٠] سنن أبي داود (٤٧٩٨)، صحيح ابن حبان (480)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

- **أذكر بعض السلوكيَّات الخفيَّة قد تقع من بعض طلاب العلم ومن غيرهم، ولكن الشَّأن في طلاب العلم:**

❖ **المسلك الأول:** يسمع فائدةً نفسيةً ممَّن يصغره سنًّا وعلمًا، فطالب العلم الصغير هذا سمعها أو قرأها أو سمع عنها أو تحصَّل عليها من خلال جهد فردي، فإذا سمعها الكبير من طلاب العلم أظهر للمفيد عدم اهتمامه بها، أو كأنَّها معلومة عنده، وهذا من الخيانة العلميَّة، فيقول هذا الصغير مثلًا: سمعت الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يقول: كذا...، أو قراتُ كذا...، أو قرأتُ في كتابٍ لفلانٍ كذا...؛ فهذا المستمع أُعجب بهذه الفائدة، ولكن ضعُفَت نفسه أن يشكر هذا، فقال: هذه الفائدة معروفة، سبق أن سمعتها وقرأتها! وهذا خلاف الخُلق القويم، ومن المسالك الخفيَّة القبيحة.

وانظر! كان الخليل بن أحمد الفراهيدي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- شيخ سيبويه، وكان يُلقي في كلامه الفائدة النفيسة ولا يُبالي، فإذا سمع الفائدة من أحد الحاضرين، وبالأخص من صغار السن؛ أظهر التَّشكُّرَ والدُّعاء له، مع أنه يعلمها قبل أن يُخلق هذا، ولكن من باب الحث على طلب العلم، والتَّواضع لطلاب العلم. هذا مسلك

❖ **المسلك الثاني:** إذا ذكر فائدة نفسية فأُعجب الناس بها وتشكَّروا له، وهو قد سمعها في تسجيلٍ، أو قرأها، أو نقلها لها أحد في مجلس؛ يصعب عليه أن ينسبها إلى صاحبها، فيسمع ثناء الناس، نِعْم الفائدة... فائدة نفيسة كيف حصلت عليها...؛ فهذا في الحقيقة من المسالك الخفية القبيحة.

يقول النووي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتاب له أظن اسمه: "بستان العارفين": "ومن بركة العلم إلى أهله عزو الفائدة النفيسة".

فهم يعلمون أنَّ هذه الفائدة لا يتحصَّل إلا غوَّاص، فيثقل على هذا المفيد أن يعزو الفائدة إلى مَن أفاده بها، بينما لو نُقلت عنه وما عُزيَت إليه لتضايق، فلماذا لا يتورَّع عن عزو فضل غيره لنفسه!

❖ **المسلك الثالث:** أشار إليه ابن النَّحاس في "تنبيه الغافلين"، وهو: أن يطلب من أحد شفاعة في إحقاق معروفٍ وحقّ وإبطال منكرٍ، وهو يعلم من نفسه الضَّعف، وأنَّه لن يسعى فيه، ولكن من باب الإظهار للناس أنه سيسعى، وعلم من نفسه أنه لن يسعى، فإذا تحقق ذلك المعروف، أو زال ذلك المنكر؛ فأتى مَن كلَّمه له يشكرونه ويثنون عليه، مع أنَّه ما قدَّم مثقال ذرة في إزالة هذا المنكر أو في إحقاق هذا المعروف، فيُظهر نفسه أنَّ هذا من فضل الله عليه وأنه سعى، فهذا جمع بين الكذب، وأن يُحمَد بما لم يفعل؛ فهذه صفات قبحٍ وذمٍّ، فهو يعلم من نفسه أنَّه لن يسعى لهذا الموضوع، فلما قضي الأمر وحصل المراد وجاءه الناس يشكرون له -فإن الناس لهم الظاهر- ومع شكرهم له يبدأ في التواضع، ويقول إن هذا من فضل الله!

❖ **المسلك الرابع:** إذا أُثني عليه من الآخرين على صفات يعرف من نفسه أنها ليست فيه، ومع ذلك يصمت ويستغفر ويسترجع، وأظهر التَّواضع؛ وهو يعلم أنَّ هذه الصفات ليست فيه، وأنَّ هذا العمل لم يعلمه.

فهنا يجب عليه -لا تفضل منه- أن يقول: أنا لم أسعَ فيه أبدًا، والفضل بعد الله للشيخ فلان، أو للعالم فلان، أو للموظف فلان؛ فيعزو الفضل إلى أهله حتَّى يناله نصيب من الدعاء.

ولكن أن يطأطئ رأسه ويسترجع؛ فهذا خلقٌ ذميم، تعلم من نفسك أن هذا الثوب ليس لك ولم تلبسه، فضلًا عن أن تسعى في جلبه.

❖ **المسلك الخامس:** قرأتُ في بعض كتب الرقائق، وسمعته قديمًا من بعض الفضلاء كان يقرأ في كتب الرقائق، فقال: إنَّ ممَّا يستقبح وقد يكون من الرياء والسُّمعة أن يحرص المرء على مجالس يحضرها لأجل أن يُمدَح فيها فقط، لا أن يُفيد ولا أن يستفيد، مجرَّد حضوره حتَّى يُمدَح، ويفخر بمدحه على مَن حضر، وبخاصَّة أن يتشفَّى بمَن حضر، فهذا مسلك خفي سيء.

❖ **المسلك السادس:** يسمع غيبةً أو لمزًا في قرينه في مجلسٍ أو مكانٍ ما، فيتظاهر بعدم السَّماع، كأنه يُكلِّم أحدًا، أو يتصل بالجوال، أو ينشغل؛ وهو يريد منهم أن يستمرون في قدح هذا القرين، ليستمر القادح في كلامه فيتشفَّى، وليحرص على سماع سلبيات أخرى في قرينه؛ فهذا من السلوك السيء الخفي القبيح.

- **أولًا:** هو أَثِمَ؛ لأنه يسمع غيبةً ولم يُنكرها.
- **ثانيًا:** أنَّه تسبَّبَ في تأثيم الآخرين لعدم كفِّهم عن الغيبة.
- **ثالثًا:** أنَّه قد يزيد إيغارًا في نفسه على قرينه.

وكان الأولى أن يُسارع في قطع باب الغيبة ابتغاء مرضات الله تعالى، فإذا علم الله صدق نيَّته وطيب طويَّته استفاد الحاضرون فكفُّوا، وربما يُلقي في قلب قرينة المحبَّة له إذا علم أنه دافع عنه.

فقضيَّة أن بعض الناس يتشاغل بالجوال حتى يتشفى بالقدح في قرينه هذا لا يليق بآحاد الناس فضلًا عن طلاب العلم.

ومن يقرأ في سيرة السلف يرى مواقفًا لولا الإسناد لكُذِّبَت! كيف أنَّ الرجل تأتيه الفرص ليتشفَّى في قرينه، ومع هذا يكف، بل ويُدافع.

فجاء في التاريخ أنه كان بين وكيع وسفيان -رحمة الله عليهما- شيءٌ من هذا، فوقع وكيع في أمر وتكالب عليه بعض الناس، ورفعوا أمره للقضاء، وتشفى مَن تشفَّى، وكان سفيان بينه وبين وكيع أمر مثلما يقع بين الأقران؛ فسارع سفيان إلى الشفاعة لوكيع والدفاع عنه وإظهار منزلته؛ فهذه أمور لا يُوفَّق إليها إلَّا مَن وفَّقه الله -عز وجل.

❖ **المسلك السابع:** يتثاقل سؤال مَن يسأله، إذا كان لا يرجو من السائل مصلحة، أو كان السائل ليس وجيهًا.

إذا أتى هذا السائل وهو شخص قد يكون فيه من الصفات ما يُثقل عليك، كأن يكون لسانه ثقيل، أو يرفع الصوت بطبعه، أو يحتاج إلى بسطٍ في الجواب؛ تجد بعض الناس يتضايق، فلا ينشط في ردِّه؛ بل قد يُجيبه جوابًا عامًّا حتى يقطع أمره. أما لو أتاه شخص له مصلحة منه أخذ بالتَّبسُّط والتَّفصيل والسُّؤال!

قال -جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى/١٠]، قال بعضهم: يدخل في هذا سائل العلم، بل نهر سائل العلم أبلغ من نهر سائل الحاجة، فسائل الحاجة إما أن تعطيه أنت أو يعطيه الثاني والثالث والرابع، لكن سائل العلم قد يتعبَّد على جهالة وأنت تكون السبب، وقد يكره العلم والعبادة والطاعة وتكون أنت السبب.

وأيضًا المعلم في الفصل ينتبه؛ قد يكون من ضمن الطلاب أبناء وجهاء، وآباؤهم معرفون، فإذا سأل أحدهم أجابه بإيضاحٍ، وإن سأل أحد أبناء الفقراء قال: نذكره في الدرس القادم، أو ألغى السؤال، أو أجاب جوابًا مختصرًا! فهذا من خيانة العلم، والواجب أن يُخلص في إجابة العلم طلبًا لمرضاة الله، ثم لرفع الجهل.

❖ **المسلك الثامن:** يُصاحب أخاه ويُسافر معه، ويأنس به؛ فإذا وقع أو حصل من أخيه أمر وأخطأ أخوه عليه؛ أخذ يذم هذا التَّصرُّف، وأخذ يُكثِر النَّقد، لا ترك هذا لله، ولم تشفع الصحبة للتَّغاضي، مجرَّد خطأ في لحظات أزاح صحبة مدَّتها سنوات، وهذا ما ينبغي، وبعضهم قد يغار من أخيه وينتظر فرصة يخطئ عليه أو يقصر في حقه، فإذا أخطأ أخذ يتشفَّى، كأنَّه ينتظر هذه الفرصة!

ولا شكَّ أن هذا مسلك خلقي سيء ولا يليق.

❖ **المسلك التاسع:** وهو قريب من المسلك الثاني، وهو أن يُمازح صاحبه، فإذا أخطأ على أخيه واعتذر يُوظِّف، يُوظِّف هذا العذر ويتَّخذه مطيَّة ليرتقي عليها، أنت كذا...، وسبق أن أخطأت علي في كذا...، وسبق كذا...؛ وكان المفروض عليه لما اعتذر له أخوه أن يغفر هذا لأخيه، ويصفح ويفرح، ويُظهر المحبَّة الزَّائدة، لكن بعض الناس -مع الأسف الشديد- أحيانًا تُخطئ عليه وقد يكون عدم العذر أحسن في بعض الأحايين، لأنَّك تعرف من طبعه أنَّك إذا لم تعتذر سيسلك الأمر مسلكه بعد حينٍ وينساه، لو اعتذرت سيوظِّف هذا العذر في كل مجلس، فلان أخطأ واعتذر... والعام أخطأ واعتذر علي...، وهذا كذا...، وكذا...!

ومثل هذا النوع في الغالب لا تطل المزاح معه، وأيضًا إذا كان من طبعه أنَّ عنده حساسيَّة زائدة فتقلَّل من المزاح معه، فالناس ليسوا كأسنان المشط سواء، وأصابع اليد نفسه تختلف.

❖ **المسلك العاشر:** وهذا المسلك يقع فيه بعض الناس، وهو أنَّه يرى شخصًا فيَكره طلعته، ويكره نظراته، ويكره أسلوبه في الكلام، فيبدأ يحكم عليه، هذا فيه كذا...، وفيه كذا...، بمجرد عدم القبول النفسي، وهذا مسلك خلقي سيء، هذا الرجل قد يكون من طبيعته لعصبية، ولكن يحمل بين جنبيه قلبًا فيه من الطيب واللباقة ما لو قُسِّم على سبعين لكفاهم، ثم الحكم لا يكن من مجلس واحدٍ تبني عليه شخصيَّة الرجل، فهذا لا يجوز شرعًا ولا عقلًا ولا عرفًا، ولا حتى في علم الاجتماع، مجرد شخص تقول فيه كذا وكذا في لحظة واحدة، فهذا لا ينبغي، أنتَ لو رآكَ أحدٌ في حالة انفعاليَّة ثم حكم عليك تتضايق، وتقول: هذه ليست أخلاقي، وهذا ليس من طبائعي!

فبعض الناس تحكم ليس بمجرد موقف، وإنما شيء نفسي، وعدم ارتياح له، وعدم راحتك له ليست حكمًا صحيحًا، لو قال قائل عنك: يا فلان أنت لا أرتاح لك، وأكرهك وأنفرُ منك! ستقول: لماذا تنفر مني؟ هل حصل مني ما تكره؟ هل رأيت مني فعلًا تكرهه؟ مجرد أمر نفسي؟!

ولهذا في حديث ذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع للطبراني وغيره: "أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما".

فأحيانًا تبغض الشخص بموقف، أو تبغضه نفسيًّا؛ فلا توغل في البغض والكراهية، فربما مع المخالطة والاجتماع تنقلب الموازين، فترى فيه من الخلق والسمعة ما يخفى عليك، أو ما لا تتوقع أنت.

فليس من العدل والإنصاف أن تكره الرجل لأمر وقع في نفسك، إلَّا إذا كان فيه قرائن قطعيَّة قويَّة؛ فهذا شيء آخر.

❖ **المسلك الحادي عشر:** يتحدَّث عن قضيَّة بضمير الغائب، ثم في أثناء حديثه يتعمَّد إيراد ضمير المتكلم ليُشعر الناس أنه المقصود.

مثلًا: يقول لك: فيه شخص كان يتفقَّد حوائج الفقراء ويذهب إليهم -والناس يدعون له- حتى أنه في مرَّةٍ كان يُقسِّم كذا، فجاءت امرأة فقالت: أيها الكريم المحسن...، فقلت لها: هذا لكِ...

فيتعمَّد إيراد ضمير متكلم في كلامه مع قدرته على إخفائها، ولكن أحيانًا الإنسان يتكلَّم بغير مشاعره أو اختياره، كمن قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك -أخطأ- فأحيانًا مع سرد القصة يُورد الضمير المتكلم دون أن يشعر، ولكن فرق أن يتعمَّد حتى يقول للناس: إنه هو أنا، أو أنا أتحدث عن نفسي.

فمثل هذا مسلك خفي قبيح سيء ممقوت؛ بل قد يستقبحها بعض الحاضرين إذا عرف أنَّك تريد إظهار أنَّك المقصود؛ فاعمل لله -عز وجل- وإذا عملت لله فإن الله تعالى حكيم وعدل في جزائه لعبده.

❖ **المسلك الثاني عشر:** يُظهر قبول النصح من الناصح، فيُنصت ويعلم أنه مخطئ في تصرفه، والناصح ينصحه، أو ناقد ينتقده؛ فيُظهر هذا القبول ويعرف أنه مخطئ، ويعرف أن كلام الناصح والناقد عين الصواب و-كما قيل- حق اليقين، لكن إذا انتهى تشكَّر من الناصح أو الناقد، ثم أخذ يبرر لنفسه وهو يعلم أنه مخطئ، وأن هذا التبرير مجرد ترقيع لعدم التنازل أو إظهار شخصيَّته، فهذا قبيح.

ما ضرَّه لو قال: أثابك الله تعالى خيرًا، وبارك الله فيك، والله يعينني على تجنُّب ما وقعتُ فيه؛ فيكبُر عند الله ويعظُم أجره.

❖ **المسلك الثالث عشر من المسلك الخفيَّة السَّيئة:** في مسألة الناصح والمنصوح، يأتي أحد ليصححه أو ينتقده، وهو يعلم أن المنتقد محق في انتقاده، فذكرنا في الأمر السابق أنه يتعذَّر على نفسه، أما هنا لا يتعذَّر عن نفسه، بل يعترف أنه مخطئ، ولكن شأن اعترافه وشأن قبوله للنصح أنه جعل للنصح مقايضة، فيقول: وأنت أيضًا كذلك...، أنت فيك كذا...، وكذا...، وقبل أسبوعين فعلت كذا...!

فهذا ما كان قبوله للنصح ليستفيد، ولكن ليُقايض؛ فهذا أيضًا مسلك خفي قبيح، والأولى حتَّى لو كان في أخيه خطأ أن لا يُبادرَه بالخطأ مباشرة، ولكن يُرجئ المسألة حتى لا ينزغ الشيطان، فإذا انتهى أخوه تشكَّر له، وبعد حينٍ يقول لأخيه: هناك أمر ما داعي لتأخيره حتى لا ينزغ الشيطان..، وهو كذا...، وكذا...

فأنت الآن نبَّهتني على خطأ، وأنا أعرف أني مخطئ، فاعترفتُ وشكرتُك، وأعرفُ أنَّ عندكَ خطأ في قضيةٍ، ولكن لا أحب أن أواجهك بها في نفس اللحظة، لأنَّ الشيطان قد يكون له حظ، ولكن بعد حين تقول له: يا شيخ، أنا لاحظتُ كذا...، وكذا...؛ ففي الغالب يتقبَّل النصيحة، ويُلقي الله محبتَّك في قلبه.

◆ **بعضهم يُقلِّد حركات الشَّخص من باب المزاح. فما توجيهكم لذلك؟.**

- إن كان مَن يَحكي عنه يَرضى فنعم، ولكن ورد في الحديث «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**»[٨١]، فإذا كان فلانٌ يكره ذلك فيحرم تقليده؛ لأن هذه غيبة، بعضهم يُقلِّد حركات شخص، أو حركات عينه إن كان في خلقة عينه خلاف طبيعة الناس، أو في طلاقة لسانه أو في مشيته؛ فيُقلده لإضحاك الحاضرين، فهذا قبيح، وأقبح منه إذا قابله مدحه، وإذا غاب عنه أخذ يُضحك الناس عليه، ثم ضعْ نفسكَ مكان الشَّخص.
- وفيه كلام للصنعاني في كتابه: "السُّبُل"، يقول: "لو أنَّ الغضبان رأى نفسه في المرآة لاستقبح نفسه".
- ولو أنَّ الشخص الذي يُقلِّد شخصًا لإضحاك الناس، لو قيل له: إن فلانًا قلَّدكَ وأضحك الناس عليك؛ ما يرضى.

◆ **بعض الناس يرى من شخص ما دعابة؛ فهل في هذا الموضع وهم قد استأمنوا بعضهم على أسرارهم يجب عليه كتمان أسرار صاحبه؟.**

- إفشاء الأسرار قد يترتب عليه خسارة تجارية قد يتحملها، ولكن لو أفشى سرًّا قد استأمنه عليه أحد فهذه خيانة.
- ومن أفشى على الناس سرهم؛ لم يستأمنوه على سرهم ما عاش، فهذه الأسرار أمانة، وإفشاء الأسرار خيانة للأمانة والوعد، فأخوك يكون بينك وبينه في السفر أمورًا لا يفعلها إلا أمامك، فمن القبح والمسلك الخفي أن تظهرها أمام الآخرين، بل قد تقع عداوات أحيانًا، وقد يكف عن مصاحبته حتى يموت.
- وقد يتنزَّل الإنسان مع خاصَّة إخوانه، فلا تكون مؤاخذة في ذلك، فيقول: والله في سفري مع فلان فعل كذا وكذا...، فإذا بواحد يتجرأ عليه وينشر خبره، والمحكي عنه يكره أن يخرج هذا الخبر، فالأولى الكف وعدم إخراج ما يكون بين الاثنين أو الثلاثة أو الأصحاب الخُلَّص.
- قال الإمام النووي: "باب في تبسُّط الإمام مع أصحابه دون خاصَّة الناس"، وَذُكِرَ عن أمِّنا عَائِشَةَ أنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ،

---

[٨١] أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢)، صححه الألباني.

فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟! قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ، إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ»[٨٢].

- والشعبي كان يُمازح أصحابه، فإذا دخل الغريب أمسك. فلما سألوه قال: "إذا دخل الغريب فنحن قدوة"؛ فلا تتبسَّط مع كل أحد، وخاصَّة طالب العلم إذا أكثر المزاح والدعابة تسقط مروءته ويتجرَّأ الناس عليه، ولكن مع خاصَّة أصحابه لا مانع من الدعابة والمزاح.

❖ **المسلك الرابع عشر:** أحيانًا يُسأل بعض طلاب العلم سؤالًا، وهو يعرف من نفسه عدم الجواب، كأن يكون في مجلسٍ أو مسجد أو في محاضرة، أيًّا كان في مجمع من مجامع الناس؛ فيثقل على نفسه ويُثقِّل الشيطان عليه أن يُرى بعدم العلم، فيقول: ذكر بعض أهل العلم كذا...، وفي بعض الكتب كذا...، جواب عام!

وهذا لا ينبغي، لأن هذا غش لنفسه، وغش للسائل، وغش للسامعين.

أمَّا إن كان قد قرأه ونسيه فلا بأس، أما إذا كان يعرف من نفسه أنه لم يقرأها وليس له بها علم فلا يتكلم.

يقول السيوطي: "السكوت على من يجهل فرض"، والملائكة -عليهم السلام- قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة/٣٢].

ثم قال السيوطي: "والكلام على من يعلم فرض" كقوله: ﴿قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ [البقرة/٣٣]، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ أَنَبِيّاً كَانَ أَمْ لاَ، وَمَا أَدْرِي ذَا الْقَرْنَيْنِ أَنَبِيّاً كَانَ أَمْ لاَ»[٨٣]، وكتب أهل العلم تُكثر من الوصية في أن يُورِّث العالم طلابه قول: "لا أدري".

وأذكر في درسٍ لسماحة الشيخ ابن باز أنه سُئل عن الاتِّكاء، فقال: لا أدري، هل أحد من إخواني يعرف؟

والشيخ ابن جبرين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- سُئل عن عقيدة أحد الشعراء، فقال: لا أعرفه، لعل فلانًا يعرف.

فهذه أخلاق أهل العلم الكبار، أن يقول المسؤول: لا أعرف لا أدري.

---

[٨٢] صحيح مسلم (٢٤٠٢).

[٨٣] أخرجه أبو داود (٤٦٧٤) مختصراً، والبزار (٨٥٤١)، والحاكم (٢١٧٤) باختلاف يسير.

جاء رجل إلى مالك من الأندلس، وكان قد كتب سبعين مسألة، فقدم إلى مالك وسأله، فأجاب مالك عن ثلاثة أو أربعة، فقال الرجل: يا إمام، إذا رجعتُ إلى الأندلس فماذا أقول لهم؟ فقال الإمام قولة حقٍّ أصبحت مثلًا: قلْ لهم: إنَّ مالكًا لا يدري.

- ❖ **المسلك الخامس عشر:** وهو مسلك خفي وسيء -مع الأسف الشديد- بعض الحاضرين في المجلس يطلب من بعض الجالسين ذكر قصَّة، ويعرف هذا الطالب أنَّ هذا الشخص الذي سيسوق القصَّة سيذكر فيها ذمًّا لشخصٍ، ويظهر من معائبه، والمسؤول لا يدري، حتى ربما لا يدري الحكم الشرعي، لكن السائل لحاجة في نفسه أراد من هذا المسؤول أن يأتي بالقصَّة ليتشفَّى في نفسه من سماع القدح في المعني، وحتى يشاركه الحاضرون في ذمِّ هذا، فإذا بدأ هذا الشخص يقص القصَّة، وذكر فلانًا بكذا...، وكذا...؛ تجد السائل يتشفَّى، وهذا المسؤول الذي يقص القصَّة لا يدري، والحاضرون مستعجبون، فهذا الشخص يتحمل إثمهم بهذا المسلك الخفي القبيح.

وحتى يعرف قُبح مقصده؛ لو أنَّه كان له مواقف سلبية، ثم طلب أحد الحاضرين من أقرانه ذكر هذا الموقف من الحاضرين، ونفس الشَّامت هذا سمع الناس في مجلس آخر يشمتون فيه لحمل على السائل ضغينة في نفسه.

إذن؛ أحب للناس ما تحب لنفسك من الخير، واكره للناس ما تكره لنفسك من الشر.

- ❖ **المسلك السادس عشر:** يتعلق بالذي قبله، يطلب من أحد الحاضرين سردَ قصَّةٍ، وهذا الحاضر مشارك فيها، وهذا السَّائل يعرف أن في سرد القصَّة مدح له وتشكُّر له، ويعرف أن هذه القصة سيُمدَح فيها؛ فيستأنس ويتروَّح وينبسط.

فنقول: هذا لا يليق، هذا مسلك خفي، لا تحرص على سماع المدح، واحمد الله أنه مكَّنك من ذلك، وآثارك دون غيرك، ولا تجعل كثرة ذكرها أو تتبسَّط في ذلك، فقد يكون في ذكرها باعث للرياء والعجب والكبر في نفسك، وبعض الناس إذا أراد أحد أن يذكر خبرًا فيه مدح له صرفه، إما تلميحًا أو تصريحًا.

- ❖ **المسلك السابع عشر:** يتظاهر بسوء عمله ليمدحه الناس.

مثلًا: قام بشفاعةٍ، ففتح الله بها أبوابَ خيرٍ بفضله -جَلَّ وَعَلَا- على هذا الشخص، فتشكَّر له الناس، وتشكَّر له أصحاب القضية؛ فكل ما حضر في مجلسٍ لهم يقول: أنا مقصر معكم في القضية. فيقولوا: ما قصرت، أثابك الله، أنت كذا...، وكذا...، وإذا دخل مجلس آخر قال: هذا فلان أن مقصر معه في القضية كذا، فيقولون: بالعكس، والله ما قصَّرت، أنت فعلت كذا وكذا...، وكل ما حضر مجلس فيه أحد أصحابه يكرر هذا!!

فهذا لا ينبغي، أنت فعلتها لله، فإذا ذكروها ابتداءً فنعم؛ بل بعض الفضلاء إذا ذكر قضية في مدحه يصرف المتكلم، لأنه يكره المدح، ويُحاول أن يُداخل المتكلم، أو يقول: يا فلان، هذا يضر بي، فمن حقي عليك عدم ذكره.

فهذه مقامات يختلف الناس فيها، ولكن بعضهم يُلقي كلمةً أو محاضرةً، ثم يقول: معذرة، لعلي أثقلتُ عليكم...، وهو ما أورد هذا الإيراد إلا ليسمع تكرار المدح.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس التاسع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الآداب عند حصول الوباء.

- يعرض للناس في حياتهم عواض تغير مجرى حياتهم، ومن هذه العوارض ما يحصل من البلايا ومن الأوبئة، ويعظم أثره بحسب اتِّساع مساحته، ومن هذه الآيات ما يُصيب الناس من الأمراض وما يصيبهم من البلايا، وهذا من آيات الله تعالى وحكمته، والله تعالى آياته متنوعة كمًّا وكيفًا وزمانًا ومكانًا، وهذه الآيات لله تعالى فيها حكم بالغة، ومن آياته هذه البلايا والأوبئة التي تحصل إمَّا في بلدٍ معيَّنٍ، أو في دولةٍ معيَّنةٍ، أو في مساحةٍ واسعةٍ من الأرض.

◆ **فضيلة الشيخ، لو تعرَّضتم لبعض الآداب التي ينبغي التزامها عند حصول الوباء؟.**

☑ من أعظم الآداب؛ بل هو رأسها وأساسها: تفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه -عَزَّ وَجَلَّ.

وقبل ذلك؛ يعلم الإنسان أن ما يكون في هذا الكون من صغيرٍ أو كبيرٍ، من تقدُّم أو تأخُّر؛ كله بأمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهو المستحق للعبادة، وعلى العبد إذا حصل من هذه الآيات والعوارض والأوبئة وما

شاكلها؛ أن يُفوِّض الأمر إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وبالجملة أن يحرص على اتِّخاذ الأسباب الشرعيَّة، والأسباب الشرعية -والحمد لله- موضَّحة في الكتاب والسُّنة، وفي كلام علماء الأمَّة.

☑ ومن الأسباب: لزوم الدُّعاء والضَّراعة، فالدعاء عبادة، وأكثر الناس دُعاءً هم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وكانت ألسنتهم رطبة بذكر الله تعالى ودعائه، والدعاء يزداد عند حصول البلاء والامتحانات.

☑ ومن الأسباب: أن يفتقر العبد إلى ربه -عَزَّ وَجَلَّ- وأن يُراجع نفسه وأن يُحاسبها، وأن يتخلص من ذنوبه، وأن تكون توبته لله توبةً نصوحًا، والتوبة النصوح يرفع الله بها البلاء.

◆ ما أقسام الناس في اتِّخاذ الأسباب؟.

- **أقسام الناس في اتخاذ الأسباب ثلاثة:**

➢ **القسم الأول:** يُهمل الأسباب، عنده لامبالاة، وهذا لا شك تفريط، فالأسباب مشروعة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، ومريم -رَحِمَهَ اللهُ تَعَالَى عليها- وهي حامل، وتعرف ما سيترتب على أمر الحمل والوضع من الأمور ما ستغير التاريخ، ومع ذلك قال الله لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥].

فإهمال الأسباب مخالف للنصوص الشرعية؛ بل وحتى الأمور العقليَّة.

➢ **القسم الثاني:** يُبالغ في اتّخاذ الأسباب حتى يصل الحد به إلى التَّنطُّع والوسوسة، وإهمال ما سواها من الدعاء والضراعة، والأذكار والتَّوكُّل.

➢ **القسم الثالث:** من يتوكل على الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويتَّخذ الأسباب المشروعة مع تفويض الأمر إلى الله، ولزوم الضراعة له.

- ونظر الناس لهذا البلاء يجعل الإنسان يتكيَّف في التعامل معه، فبعض الناس ينظر لهذا البلاء بنظر البصر المجرد، وهذا يفرق عن نظر البصيرة والاعتبار والاتِّعاظ، ولهذا فإن القمر يراه الإنسان مكتملًا بدرًا، فالشاعر يتغزَّل بشعر، فتنقدح قريحته، وصاحب البلاغة يسيل قلمه، وأصحاب السَّمر تطيب مجالسهم، لا مانع من هذا إن خلت المحاضير، لكن نظرة البصيرة هي أن الإنسان إذا رأى القمر مكتملًا أن يتذكر حديث أن أهل الجنة يرون ربَّهم كما يرون القمر ليلة التَّمام، وشتَّان بين المشاعر، بين مَن تذكر رؤية الله -عَزَّ وَجَلَّ- وبين من غابت عنه هذه المعالم العقديَّة العظيمة.

- وبعض الآيات تدعو إلى التفكر ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، وخلق جوارح الإنسان، وبساط الأرض، ونصب الجبال، وهناك آيات تُخيف، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، ومن ضمن هذه الآيات الخسوف والكسوف، فنظر الفضول والغريزة هي أن يُرى أحد الكوكبين خاسفًا، لا مانع من إشباع النظر من هذا المنظر الكوني الهائل، لكن النظر إليه من زاوية أخرى كما جاء في الحديث: «إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا مِن آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهما عِبَادَهُ»[٨٤].

---

[٨٤] صحيح مسلم (٩٠١).

فالنظرة هذه تختلف عمَّن نظروا إليه مجرد نظر إشباع غريزة، وكيف أنَّ هذا الكوكب قد ذهب بعضه بالظِّل. إذن؛ قضية النظر بعين البصيرة تختلف عن النظر بعين البصر المجرد.

- ومما يتعلق بهذه المسألة: الحِكَم عند البلاء، فيكفي أن يعلم الإنسان عظمة الخالق وقوَّة الخالق، ويُقابلها ضعف المخلوق وذُل المخلوق وفقر المخلوق.
- وعند البلاء يعلم الإنسان بطلان مَن عبدَ غير الله، وأنها لم يتنفع أنفسها، فأين الأصنام؟ وأين الأوثان؟ وأين مَن يُقدِّس الطبيعة وأنها تفعل وتفني وتوجد؟! كل هذه باطلة، فهي مبروءة، والله بارئها، وهي مخلوقة والله خالقها.
- وبعض الأوبئة والنوازل تُذكر بيوم القيامة، الفزع والهلع، وما يُصيب الناس من هذه المخافات، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]؛ فعند نزول البلاء -في الغالب- يحصل للناس غفلة عن أموالهم، وخاصَّة إذا كان البلاء متعلق بالصِّحة مثل الأوبئة.
- ولاحظ الآن! الإنسان يترك متجره، ويترك سوقه، ويتحصَّن بالأسباب التي تحفظ له -بإذن الله- صحَّته، كذلك يوم القيامة إذا فزع الناس يتركون مصالحهم وأموالهم وأولادهم؛ كل مشغولٌ بنفسه.

◆ **ذكرتم الوباء وما يتعلق به؛ هل هناك مخالفات شرعيَّة تحصل عند وقوع الوباء؟.**

- نعم، هناك مخالفات عند كل نازلة، وفي هذا الزمن انتشر وباء "كرونا" رفع الله هذا البلاء عن المسلمين، وجعل عاقبته حميدة.

❖ **النوع الأول من المخالفات:** أن بعض الناس يأخذ بعض الأخبار في البلاء بالتَّندُّر والتَّفكُّه والإضحاك والسُّخرية، والواجب عليه أن يعتبر وأن يتَّعظ.

وهذا مثل قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «زُورُوا الْقُبُورَ؛ فإنَّها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ»[٨٥]، فإذا دخل واحد وضحك وتمسخَر؛ فهذا يُنافي الآداب الشرعية التي أُريدَ للمسلم أن يتمثَّل بها.

وتجد -مع الأسف- في وسائل التواصل طرائف ونُكَت وسُخرية، هذا مريض يتصرَّف تصرُّفات لا إرادية، وهذا يُحاكي طريقة مضحكة عند بعض الناس؛ فيجعلونها مضغة في ألسنتهم وفي أقلامهم، وهذا لا يجوز شرعًا.

❖ **النوع الثاني من المخالفات:** الإرجاف والإشاعات والتَّخويف، حتى في بعض الأحايين تكون الإشاعات والتَّخويف أشد من البلاء نفسه؛ بل هي بلاء أعظم من البلاء الأصلي، فتجد -مع الأسف- بعض الناس إذا حصل البلاء لا يروي ولا يكتب ولا يأتي بخبر إلا ما يُلقي الرعب في قلوب الناس، والآداب الشرعية والعقليَّة والعرفيَّة أن الإنسان في مثل هذه المواطن يُدخل التَّفاؤل، ليس بقصد إهمال الأمور الأخرى، ولكن يُغلب جانب التَّفاؤل في زوال هذه الغمَّة وما شاكلها.

---

[٨٥] صحيح الجامع للألباني (3577).

❖ **النوع الثالث من المخالفات:** الخروج عن الحد الشرعي في اتخاذ الأسباب، حتى أن بعض الناس في اتخاذ الأسباب يترك أمورًا شرعيَّةً واجبةً عليه في سبيل التحصُّن والتَّحرُّز، ولا شكَّ ولا ريبَ أن الأسباب التي تُخالف الآداب الشريعة ليست أسبابًا، بل هذه موبقات ومهلكات، والله تعالى إذا أمر باتخاذ الأسباب، ثم جاء الشخص وغلَّبَ جانب السبب وعطَّل ما أمره الله تعالى به لغير مصلحة؛ فلا شكَّ أن هذا جناية.

وبعض الناس الآن إذا كلَّمته لا يتكلَّم في التوكل ولا في الدعاء ولا في تعليق الأمور بالله، ولا في حسن الظن بالله؛ فهذه كلها عنده لا اعتبار له، المهم أن يتكلم في كيفية التَّحرُّز؛ وهذا لا شك أنه مخالف.

◆ **ما هي الأسباب التي يُتَّقى بها هذا الوباء؟.**

* **أولًا:** التَّوكل على الله.
* **ثانيًا:** الأدعية.
* **ثالثًا:** التوبة، فكل إنسان يتوب مما أذنب، وكما قال العباس بن عبد المطلب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لما استسقى به الصحابة: "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولا ينكشف إلا بتوبة".
* **رابعًا:** الحفاظ على الأذكار الصباحيَّة والمسائيَّة والمناميَّة، فهذه حصن حصين قوي، فإذا أصبح الإنسان يستفتح صباحه بالأذكار، وإذا أمسى ختم يومه بالأذكار، إذا أراد النوم فارقَ عالم اليقظة بالأذكار، وهناك أذكار عامَّة يلزمها في كل وقت، وتزداد في النوازل.
* **خامسًا:** الاستغفار، فالأوبئة توهن الإنسان، وانظر ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، فالقوة هنا تشمل القوة البدنيَّة والقوة والإيمانيَّة؛ فهي عامَّة في كل قوَّة.

- ونوح -عليه السلام- لما قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وفي الحديث الصحيح قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[٨٦]، وفي لفظ بصيغة المبني للمفعول: «طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارٌ كَثِيرٌ»[٨٧].
- وكذلك أيضًا الأدعية التي تنص على رفع البلاء والهم والغم، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[٨٨]، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وهلم جرًّا، وكتب الأذكار -والحمد لله- مليئة بمثل هذا.

---

[٨٦] رواه ابن ماجه (٣٩٥٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

[٨٧] صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٨).

[٨٨] أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) واللفظ له، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٣٣٧)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٥٧/٧).

- وينبغي للمسلم أن يعتبر، وقد جاء الآيات بالنَّظر، قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، فتوظيف كل ما يراه الإنسان فيما يعود عليه بالنفع يزيد في إيمانه إيمانًا، ويزيد في تبصره تبصُّرًا.
- ومن اعتبار الإنسان: إذا رأى هذ البلاء، ورأى أنه في مصيبة ونازلة كبرى؛ فعليه أن يتذكر مَن هو أشد منه مَصابًا، حتى يقوَى إيمانه وتقوَى عزيمته.
- وينبغي أن يعلم أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب ولا حسب، وأن حكمة الله تعالى بالغة في الكمال أعلاها، وفي الحسن مُنتهاها.
- وعند البلاء يعلم الإنسان أنه لا ينفعه إلا عمله الصالح، وتوبته إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ فإن أضاف إلى ذلك حسن الظن بالله -عَزَّ وَجَلَّ- فلن يرى من الله إلَّا ما يُطمئنُ قلبه، ويشرح صدره، ويُقر عينه.
- وقضية وباء "كرونا" قضية عالمية في جميع دول العالم إلا ما شاء الله، ونقرأ في بعض الأخبار أنَّ فلانًا أوصى بالدعاء، وهذا المسؤول أوصى بالدعاء، وهم من غير المسلمين، وبعض الناس يفهم فهمًا خاطئًا فيقول: لا ينفعهم الدعاء!

فنقول: ينفعهم، وربنا يقول في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ومع علم الله الأزلي أنهم سيؤولون إلى شركهم.

قال بعضهم: من ثمرة الإخلاص في الدعاء: أن يُكافئ الله عبده.

وقد يُقال: إنه استدراج، ولكن انظر للحديث الآخر: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»[٨٩]، فالدعاء ينفع كل أحدٍ، وكل إنسان بحسب دعوته ومقصده.

- وهذه النوازل نزلت في القرون السابقة، وفي عصور الصحابة، فالصحابة تعاملوا مع طاعون عمواس التعامل الشرعي، وهذا يرد قضية أن الإنسان لا يُغلب إلا جانب تفويض الأمر إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويترك التوكل.
- فالصحابة -وهم أتقى الناس لله بعد الأنبياء والرسل- وقع الطاعون في عهدهم، ومع هذا مع قوَّة يقينهم وإيمانهم وعلمهم بالله -عَزَّ وَجَلَّ- كانوا من أعظم الناس لفعل الأسباب الشرعيَّة، وكما نعرف أنه لَمَّا أراد عمر دخول الشام وأُخبر بالوباء الذي انتشر وفشا وشاع، فتردَّدَ واستشار الأنصار والمهاجرين، ثم جاء ابن عوف وأكَّد ما رآه عمر وهو عدم القدوم إلى بلد فيها طاعون، وهذا من فعل الأسباب واتِّقاء الداء؛ بل إنَّ بعض العلماء يستنبط من حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَن تَصبَّحَ كُلَّ يَومٍ سَبْعَ تَمراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ في ذلكَ اليَومِ سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[٩٠]، يقولون: هذا يُسمَّى الدفع قبل الرفع في اتِّقاء الدَّاء، فهذا الحجر على شفا حفرة، فادفعوه عنها، وهذا أخف من أن ترفعه إذا سقطَ، فالإنسان يفعل الأسباب الوقائيَّة قبل وقوع الداء عليه.

---

[٨٩] أخرجه أحمد (١٢٥٧١، ١٢٥٧٢) باختلاف يسير، وأبو يعلى كما في ((إتحاف الخيرة المهرة)) للبوصيري (٦/٤٦٨)، والطبراني في ((الدعاء)) (١٣٢١).

[٩٠] صحيح البخاري (٥٤٤٥)، صحيح مسلم (٢٠٤٧).

◆ ما تعليقكم على إغلاق المساجد نظرًا لانتشار هذا الوباء؟.

- إغلاق المساجد له أصل في الشرع، وإذا دعت المصلحة فهو تخفيف من ربنا ورحمة، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما أنه في حديثه الذي نهى فيه عن أكل الثوم والبصل مُراعاة لحال المصلين، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَن أكَلَ مِن هذِه الشَّجَرَةِ، فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنا»**[٩١]؛ لأنَّ هذا مما يتأذَّى منه بنو آدم، وفي رواية أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أخرج بعض الناس قد فاحت رائحة الثوم والبصر من فمه، فهذه أذيَّة متعدِّية، وإخراجه أمر قاصر على نفسه، وهذا من ناحية المحافظة على المسجد وعلى راحة المصلين ونفسية المصلين.
- وفي المقابل لَمَّا أمرَ المنادي "صلُّوا في رحالكم" أمرَ بعدم الصلاة في المسجد مُراعاة لمصلحة الناس، والصحابة كذلك أمروا المؤذنين أن يقولوا في الأذان: "صلوا في بيوتكم، صلوا في رحالكم"، والحرم النبوي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أغلق في عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بسبب المطر، والمطر أخف ضررًا من المرض، وخاصَّة هذا الوباء المنتشر.
- فإغلاق المسجد من الحكم الشرعية، والشريعة مبنية في أحكامها على جلب المصالح ودرء المفاسد، وتقديم المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، ودرء المفسدة الكبرى في تحمل المفسدة الصغرى، وهذه قواعد مقَرَّرة في كتب الأصول والقواعد الفقهيَّة.
- إذن؛ يُقال: إن إغلاق المسجد تخفيف من ربنا ورحمة؛ لأنَّ الأجر المترتب على الصلاة في المسجد إذا كان الذي منعنا من الصلاة حُكمٌ شرعي فيبقى الأجر كما هو، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في حديث أبي موسى الأشعري: **«إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»**[٩٢]، فالمريض يعجز عن أعمال كان يعملها في صحته بسبب حابس المرض، والمسافر ترك أمورًا كان يعملها في الحضر، لأن السنة أن تُترَك في السفر، فمانع المرض يجري أجر المريض عليه بسبب مرضه، لأنه كان يعمل ذلك في الصحة والسلامة، والمسافر يجري أجر عمله عليه الذي كان يعمله في الحضر، لأنه كان محافظًا عليه، وكذلك يُقال: إن أجر الشخص إذا صلَّى في بيته بسبب إغلاق المساجد لسبب شرعي قد يتضاعف، لأنه كان يؤدي الصلاة في المسجد ويحرص عليها، وهذا الشوق إلى المسجد قد يكرمه الله به بمضاعفةٍ لأجره.
- ويُقال أيضًا: الصلاة في البيوت فيها مصلحة، فهي تبين سماحة الشريعة، وانظر إلى النصوص الكثيرة في الأمر بصلاة الجماعة، ولكن في النوازل يأتي الشرع بالمصلحة، فالصلاة في البيوت وقت النوازل لها آثار، من آثارها:

☑ **أولًا:** التَّمثُّل للنص الشرعي.

☑ **ثانيًا:** تزيد الشوق إلى المسجد، فالإنسان إذا أحب شيئًا وألفه، ثم تركه لأمر شرعي؛ يزداد شوقًا له.

☑ **ثالثًا:** نتذكر نوازل الصحابة التي جعلتهم يصلوا في بيوتهم.

☑ **رابعًا:** الأثر التربوي للصغار، فيُحاكون صلاة والدهم أو صلاة أخيهم.

---

[٩١] صحيح البخاري (٨٥٦)، صحيح مسلم (٥٦٣)، واللفظ له.

[٩٢] صحيح البخاري (٢٩٩٦).

☑ **خامسًا:** صلاة الوالد جماعة بأهل بيته ذكورًا وإناثًا لها أثر حسن، ولهذا سترى إذا رفع الله هذا البلاء- إن شاء الله- وعاد الناس إلى مساجدهم سيزدادون -إن شاء الله- حبًّا للمسجد، ويزداد الصغار محبَّةً للصلاة.

- وهنا ملاحظة على مسألة إغلاق المساجد: فبعض الناس ينشرون أبياتًا حزينة من الأشعار؛ فيُقال: الحزن الجبلي لا مانع منه، فالإنسان يتأثَّر، ولكن يتأدَّب ويعلم أن الانتقال إلى هذا حكم شرعي، أما رثاء المحاريب ورثاء الصفوف والمساجد أعتقد انه خارج عن الحد الشرعي، لأننا انتقلنا من حكم شرعي إلى حكم شرعي، يُصلي في أول الوقت، لكن إذا ضاق الأمر تُؤخَّر الصلاة، فكلها انتقال من حكم شرعي إلى حكم شرعي.
- فالحزن الجبلي لا مانع منه، ولكن البكائيَّات والأشعار والتَّحرُّق لا داعي لها؛ فتأدَّب بالأحكام الشرعية، نحن نصلي في بيوتنا مرضاة لله، وابتاعًا لهدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ونهج الصحابة، ونصلي في المساجد -وهو الأصل- ولكن إذا حصل عارض كالوباء نصلي في البيت، والمطر أخف من الوباء، وقد صلَّى الصحابة في بيوتهم بسبب المطر.
- وهنا مسألة من باب القياس الأولوي: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: **«صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ»**[٩٣] مراعاة لحال الصحابة في المطر، فلو اشتدَّ المطر في وقت فرضين فيصلون الفرضين في بيوتهم، ولو استمر المطر على قومٍ يومًا كاملًا فيصلون في بيوتهم يومًا كاملًا، ولو استمرَّ أسبوعًا أو شهرًا أو أشهرًا فيصلون في بيوتهم؛ فالعبرة برفع المشقة ورفع الحرج الشرعي، ورفع ما يُكدر على الناس حياتهم.
- فيُقال: بما أن الصحابة صلوا في بيوتهم اتقاء المطر، ونحن نصلي الآن في بيوتنا اتقاء المرض؛ وهذا الفيروس الذي انتشر أشد من المطر أثرًا على النفوس، فنستصحب الحال بجملة: "صلوا في رحالكم" يومًا ويومين وأسبوعين وشهرين وثلاثة حتى يرتفع الحال.

◆ **هل معنى هذا أن الجماعة تسقط لمن كان في بيته من الرجال؟.**

- هذه المسألة يرى بعضهم اشتراط الجماعة في المسجد، وبعضهم يرى اشتراط الجماعة بدون مسجد، فإذا صلوا جماعة يكون أحوط وأكمل وأبرأ للذِّمَّة، أمَّا لو كان وحده وما معه إلا أطفال فيُصلي وحده، فيُوظِّف هذا الحديث إلى تحبيب وتعويد الصِّغار على فعل الصلاة، فيجعلهم يصلون معه، ويُحاكون حركاته في سجوده وقيامه وركوعه، حتى يألفون أمر الصلاة.

◆ **بعض الإخوة وضع مُصلى في البيت من باب تعويد الأطفال على الصلاة؛ فهل هذا أمر مشروع؟.**

- وردَ في البخاري "باب المساجد في البيوت"، وذكر حديث عتبان بن مالك أَنَّهُ كَانَ يَؤُمُّ قَوْمَهُ وَهُوَ أَعْمَى، وَأَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا تَكُونُ الظُّلْمَةُ وَالسَّيْلُ، وَأَنَا رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، فَصَلِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى"[٩٤]، فقيل: إنه إن يعجز عن الذهاب، واتخاذ مكانًا للمسجد في

---

[٩٣] صحيح مسلم (٦٩٧).
[٩٤] رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٣٣).

البيت يرى بعض أهل العلم أن هذا المكان يكون مصونًا، ولا يتعرَّض للأذى أو التَّلف، فيبقى مكانًا مُهيَّأً للعبادة.

- ويستحب بعض أهل العلم من المفسرين أن يُكثر الإنسان التَّنقُّل في البقاع المتنوعة، أخذًا بقوله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، وجاء في بعض الآثار أن الأرض تشهد بما عُمل عليها، فيُصلي تارة في هذه الغرفة، وتارة في هذه الغرفة، فيتَّخذ مصلًّى مرَّة هنا، ومرة هنا؛ من باب شهادة البقاع له.

◆ هل من نصائح عامَّة فيما يتعلق بهذا الفيروس؟.

- هذا الحدث من تعليق الرحلات الجويَّة والبريَّة والبحريَّة، وإغلاق حدود كثير من الدول، بعد الاستقبال أو الخروج منها، وإغلاق المتاجر، وإغلاق الأسواق، وتعليق الوظائف، وتعليق الدراسة؛ أعتقد أن هذا الحدث ما حصل بهذه الطريقة.
- وإذا تذكر الإنسان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]، والعشار: هي الناقة العشراء التي على وشك الوضع، والعرب تفخر وتحرص على ولادة الجمل الأصيل أو الخيل الأصيلة؛ فذهلوا عنها.
- وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]، فهذه أحداث كان الإنسان في حياته العادية يشد يعض عليها بالنواجذ ويشد عليها بأصابعه؛ تركوها وذهلوا عنها! فذهول الناس هذا يُقرّب مشهد يوم القيامة.
- وينبغي أيضًا أن يعتبر الإنسان، وأن يعلم أن هذا الكون تسيير أمره وتقدير شأنه كله عائد إلى الله المستحق للعبادة -عَزَّ وَجَلَّ- فلا معبود بحقٍّ إلَّا الله، ويرى بطلان مَن كان يعبد غير الله، أو يرجو غير الله، ويرى أن هذه الحياة في زخرفها وزينتها بلغت أوج الزّينة، ثم كدَّر أمرها هذا الوباء، فذهل التُّجار وذهل الكبار والصغار والأغنياء والفقراء؛ كل مشغول بنفسه، فالله تعالى أسأل أن يرفع هذا الوباء.
- ملحظ في تعامل الناس مع هذا الحدث: في نظري القاصر؛ أنَّ كبار السنِّ من المسنّين والعجائز اشتعلت رؤوسهم شيبًا، ووهنت عظامهم، وانحنت ظهورهم؛ إذا جلستَ معهم وسمعتَ كلامهم تشعر بالرضا بقضاء الله، وعدم التَّسخُّط، وعدم التَّجزُّع، لا لفظ نابي ولا تصرف نابي؛ فكثير من المسنين والمسنَّات ما درسوا العقيدة والتوحيد علميًّا، لكن طبقوه عمليًا، وبعض المتعلمين -بل الكثير منهم- درس العقيدة علميًّا وعمليًّا ولكن يضعفون عن تطبيقها عمليًّا، فرحم الله مَن مات من أمهاتنا وآبائنا، وشفى الله مَن كان مريضًا، وبارك الله فيمن كان حيًّا، ووفق الله المسلمين لما فيه الخير والصلاح.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.





الدرس العاشر



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

بعض حقوق الطريق.

- إن الإسلام دين الحقوق كما سمَّاه بعض أهل العلم، ذلك لأنه أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه ومستحقَّه، فمن ضمن الحقوق التي عني بها الإسلام حقوق الطريق، وهذا من كمال دين الإسلام، إذ أنه صالحٌ لكل زمانٍ ومكانٍ، مهما تباعدت أقطار الناس، واختلفت ألسنتهم وألوانهم؛ فهو مصلح لأمور دنياهم على جميع الأحوال.
- ومن أحوال الناس في معاشهم وحياتهم ما يكون من الطُّرق التي يسلكونها، وقد جاء الإسلام بالعناية التامَّة الكاملة لشأن الطريق، وهذا يدل على أن دين الإسلام دين الحقوق، وقد جاء النص النبوي في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»[٩٥]، وكان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- بيوتهم صغيرة، فكانوا يجلسون في ناحية من الطريق حتى يجتمع عدد أكثر وقد يضيق البيت عليهم، وقد يكون بعضهم فقيرًا ليس عنده ما يُقري به الضيف، فكانوا يجتمعون أحيانًا في ناحية من نواحي الطريق، يجلسون أو يتذاكرون أو يتسامرون؛

[٩٥] صحيح البخاري (٢٤٦٥).

فلما رآهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نهاهم عن الجلوس في الطريق، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجلسنا، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، فقالوا: يا رسول الله، وما حق الطريق؟ فذكر -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حقوقًا للطريق مشهورة في كتب السُّنَّة.

- **من هذه الحقوق:**

❖ **أولًا: كفُّ الأذى**

- وهو عدم رمي ما يُؤذي الناس في طُرقهم، وعدم التَّصرف بتصرفات تؤذي الناظرين والسامعين، كالتَّنخُّم أمام الناس أو البصق في الطرق، وأقبح من ذلك قضاء الحاجة في الطريق.
- ومثل ذلك تضييق مدخل الطريق أو مخرجه، ويتسنَّح بعض الناس فيما يتعلَّق بالطريق، وقد جاء الأمر النبوي بإعطاء الطريق حقه، وجاء التَّحذير النبوي في أذية الناس في طرقهم، وقد يخفى هذا عن بعض الناس، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»[٩٦]، فمن أذيتهم أن يرمي القمامة أمام بيوتهم في طرقهم، أن يعطل مدخل الطريق بالوقوف، أو يُعطل مخرج الطريق بالوقوف.

◆ **بعضهم يُوقف سيارته في مواقف مخصصة للمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. فما توجيهكم؟.**

- فمما يُؤسَف له أن يرى الإنسان في بلاد الغرب أن مواقف المعاقين لا يأتيها أحد حتى مع الزِّحام الشديد، وقد رأيتُ هذا بعيني، بينما ترى بعض الناس -مع الأسف الشديد- تكون المواقف شبه خالية ويتعمَّد الوقوف في مكان المعاقين لقربه من مدخل الجامع أو مدخل المستشفى أو مدخل الكليَّة أو مدخل السوق، أو ما شاكله!
- فينبغي للمسلم أن يتجنَّب الوقوف في هذه الأماكن مراعاة لحال هؤلاء وعدم المشقَّة عليهم، ومن باب أن المسلم منظَّم في حياته، ولا ينبغي له التَّصرُّف العشوائي، وهذا قد يتسبب في دعاء الناس عليه، فقد يأتي والد معوَّق معه ابن معوق فيدعو عليه؛ لأن هذا أخذ ما ليس له بحق، فهذا مكان مخصَّص من الجهة الرَّسميَّة أو من القائمين على المسجد أو القائمين على السوق؛ فالأولى أن نُفرِّغ المكان لهؤلاء، فكيف إذا كان لهم مكان مخصوص!

❖ **ثانيًا: غض البصر.**

- عورات المسلمين محترمة في جميع الأحوال، وتجد المرأة تسلك الطريق لتمشي، أو قد يكون أحد أبواب البيوت مفتوحًا؛ فبعض الناس يُطلق بصره على عورات المسلمين، هذه امرأة مارَّة أو هذا بيتٌ مفتوح، أو هذه النافذة مفتوحة؛ كل هذا لا يجوز إطلاق البصر فيه، وقد جاء الوعيد الشديد في هذا.
- فمن غض البصر عدم رؤية ما في داخل بيوت المسلمين، وعدم التَّلصُّص في النظر من النوافذ، وأقبح منه إذا نظر من ثقب الباب، وقد جاء الوعيد الشديد في ذلك، وكذلك أيضًا غض النظر عن عورات نساء المسلمين.

---

[٩٦] حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٩٤).

❖ ثالثًا: ردُّ السلام.

- يمرُّ أحد الناس على الجالسين في الطريق؛ فمن الحقوق أن يُسلِّم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والماشي على الجالس؛ فإذا مرَّ الإنسان ووجدَ أناسًا جلوسًا أمام بيتهم أو أمام متجرهم أن يُسلِّم، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ»[٩٧]، وكما نعلم أنَّ السلام من أسباب محبَّة الله، ومآلات محبَّة الله دخول الجنة.
- ومما يُؤسف له ما ظهر من بعض الناس، أن يمر بجانبك وأنت جالس أمام بيتك، أو جالس في السيارة؛ فلا يُسلِّم، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلَامِ»[٩٨].

❖ رابعًا: إعانة مَن يحتاج الإعانة

يعني شخص يحتاج عونًا في الطريق، أو شخص يحتاج مَن يدله على الطريق، أحيانًا ترى بعض الناس تعطَّلت سيارته؛ فينبغي أن يستشعر الإنسان أن الإعانة في هذه الحال عبادة هيَّأها الله له، فيُسارع ويُبادر، وجاء في الحديث: «وَأَن تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ»[٩٩]، فهذا عمل يسير، فكيف إذا رأيتَ رجلًا مُتعطِّلًا بسيارته، وخاصَّة إذا كان وقت الظَّهيرة في الصيف، فإذا وقف الإنسان ينبغي أن يستشعر أن هذه عبادة وقُربَة، وهذه المعالم قد تخفى عن بعض الناس.

- ومما ذكر شيخ الإسلام وغيره: أن بعض الناس قد يفقد الأجر في عدم استشعار التَّقرُّب.
- مثلًا: إذا أتى الرجل بما يحتاجه البيت؛ فينبغي أن يتقرَّب إلى الله بأنه يُؤدِّي ما أوجبه الله عليه حتى يُؤجَر، فإذا رأى الإنسانُ إنسانًا متعطِّلًا خاصَّة كبير السنِّ؛ فينبغي أن يُغادر المكان حتَّى يُعينه إن استطاع، أو على الأقل بالاتصال الهاتفي بشركات النقل وشركات الصيانة وما شاكله، من باب التخفيف عنه.

❖ خامسًا: إرشاد الضَّال.

- شخص لا يعرف الطريق فوقف يسأل: أين بيت فلان؟ أين المكان الفلاني؟
- فإذا كنت لا تعرف فقل: لا أعرف، ولكن تجد بعض الناس -مع الأسف- لا يعرف، ويعطيه وصف إجمالي، وقد يضره في إضاعة وقته، والآن -والحمد لله- يوجد من التقنية الحديثة ما يحل الإشكال.

❖ سادسًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- إذا رأيت ما يغضب الله من المعاصي فتلطَّف في تقديم النصح لمن مرَّ في الطريق، تلطَّف في تقديم الكلمة الطيبة، يُمكن أن يمر رجل في هذا الطريق وقد تلبَّس بمعصية؛ فكلمة منك من حق الطريق أن تؤديها إلى من مرَّ في هذا الطريق ربما تؤجَر في تغيير مسار حياته، وهذا يُلحَظ مع حسن الأسلوب والتلطف في إيصال المعلومة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا له آثار على الآمر والناهي وعلى المأمور والمنهي.

◆ لو تعطونا لمحة عن ما يتعلق بآداب الطريق؟.

---

[٩٧] صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٤٥٦٨)

[٩٨] صحيح الأدب المفرد للألباني (٧٩٥)

[٩٩] مسند أحمد (١٤٤٦٣)، سنن الترمذي (١٩٧٠).

- تقدَّم هذا إجمالًا، ولكن أذكر بعض النقاط تفصيلًا:

☑ **أولًا: عدم وقوف بعض الناس بسيارته في المواقف المخصصة**

أحيانًا يكون سوقًا كأسواق الناس العادية، بعض الناس يتضايق ويتضجَّر أن يقف أحد تحت سوره، مع أن وقوف الجار لا يُضيِّق على صاحب الدار، قد يكون سور زيد طويلًا، وعنده سيارتان أو ثلاث مع أولاده، والسور يكفي ثمان سيارات، وجارك قد لا يكون عنده ظل كما عندك، فبعض الناس يتضجَّر، ويُحجِّرُ واسعًا، حتى أنه يُشغل جيرانه بالكتابة على سيارتهم بأوراق لاصقة "أرجو عدم الإحراج"، مع أن عنده السَّعة! فهذا لا شكَّ أن يتنافى مع المروءة ومع إكرام الجار، اللهم إذا كان المكان لا يتسع للجار ولسيارة ولده؛ فما لك حق أيها الجار أن تضايق على جارك.

- ومع الأسف الشديد بعض الجيران قد يخرج مبكرًا قبل جاره، ثم يُوقف سيارته تحت شجرة جاره وهو يعرف أن الجار سيأتي بعده، فهذا لا ينبغي! وأحيانًا صاحب البيت إذا رأى أن جاره أصر قد يتكلم عليه ويعاتبه، وهو له حق في ذلك، وإن كان الأولى والأكمل عدم المعاتبة.
- وأذكر مُثُلًا عُليا، فبعض الجيران -ما شاء الله تبارك الله- أولاده يقولون له: كلم الجار حتى لا يوقف سيارته؛ فيقول: السيارة سيارتي والبيت بيتي، ما لكم حق وأنا والدكم تلقِّنوني ما أقوله للجار، اتركوا الجار يفعل ما يُريد، فهذا الجار يُشكَر.
- ويُقال للجار الآخر: إذا كان جارك كريمًا فتأدَّب معه.

☑ **ثانيًا: تقدَّم النهي عن رمي النفايات وبخاصَّة ما يُستقبَح**

الآن توجد صناديق لجمع النفايات، فبعض الناس يتعمَّد أن يجعلها عند باب جاره ليبعدها عن بيته!

- نقول: إذا كان هناك مكان مشاع في الحي ليس عند بيت أحد فلا بأس، لكن أن يتعمَّد بعض الناس أن يضعها عند باب جاره فلا، والأدب والمروءة تأبى هذا الشيء.
- وبعضهم يضع أكياس النفايات قرب سور جاره ليبعدها عن سوره، فهذا الفعل قبيح ويُنافي الأخلاق الطيبة، ويُنافي مروءة الرجال.

☑ **ثالثًا: الوقوف في مواقف سيارات ذوي الاحتياجات الخاصَّة.**

- قد يكون بعض الجيران عندهم والد معاق أو ابن معاق، وسيارته من النوع الذي يحتاج إلى مكان واسع؛ فينبغي عدم التَّضييق، وخاصَّة أن بعض السيارات لها مثل المصعد أو الرافعة حتى تعين المعاق، فنبغي أن يُتجنَّب الوقوف في مثل هذا الموقف، فإذا أعطاك الله جوارح سليمة وأطراف سليمة فتذكر أن جارك له حق الجوار وله حق الإسلام ومريض له حق الرعاية.

☑ **رابعًا: الإسعاف.**

- والحمد لله الوعي منتشر، ولكن تجد بعض الناس -للأسف- إذا جاءت سيارة الإسعاف يُفسحون الطريق لها، فهذا يدل على الوعي وتفهَّم الحال، ومراعاة المريض، ولكن بعض الناس -مع الأسف الشديد- يكون أمام

الإسعاف، حتى يضطر الذي أمامه إلى التوسعة، وهذا -لا شك- أنه لا يليق، بل قد يسبب في تعطيل سيارة الإسعاف.

- ونحن نرى وبحمد الله الآن أكثر الناس يُحاول الانحراف عن السيارة حتى يوسع الطريق، ولكن -كما قلت لكم- بعضهم قد يكون شاذًّا فيأبى، وبعضهم يتعمَّد الإسراع خلف الإسعاف، فيستغل الفرصة، وقد كُتب في بعض المجلات أن بعضهم تسبب في حادث للإسعاف، فهو يسير خلف الإسعاف بسرعة، والإسعاف قد يضطر للوقوف فجأة، فمن وراءه قد يسبب كارثة، فيزيد المرض مرضًا.

☑ **خامسًا: ما يقع عند الأسواق أو بعض المجمَّعات التعليمية وما شاكله**

فيكون شخص واقف وينتظر واحدًا يخرج، فأثناء خروجه يجد شخصًا من جهة أخرى ويقف مكانه! وهذا واقف ينتظر فقط من يخرج له؛ فهذا لا ينبغي؛ لأنه تصرف مشين يُعاب به الشخص، فهذا ينتظر بسيارته حتى يخرج شخص، لكنه رجع لأن جهة الرجوع تحتاج إلى مسافة أكبر حتى من يخرج يأخذ راحته؛ فأثناء خروجه يأتي شخص يرى هذا المنتظر، ومن باب اقتناص الفرصة يأخذ مكانه؛ فهذا لا ينبغي.

- وأذكر من اللطائف أنه كان أحدهم أمامي، وقف قبل المنتظر، فقال المنتظر: يا أخي أنا أحق منك، أنا رجعت حتى يخرج؛ فبكل طيبة خاطر وبكل أدب اعتذر الرجل وخرج؛ فما كان من المنتظر إلا أنه أقسم بالله أن لا يخرج؛ لأن أخلاق الذي دخل هذا أبت الخطأ، والحمد لله الأصل في الناس الخيرية.

☑ **سادسًا: بعض الناس إذا كان هناك مدخل على طريق، وقد يكون المدخل يكفي لسيارة واحدة، ويعرف هذا الذي يمشي أن مَن بجانبه متقدم عليه؛ فيصر على الدخول قبله كعناد، وهنا قد يقع الحادث.**

- والقاعدة عندنا: قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ»**[١٠٠].

◆ **لو ذكرتم لنا بعض أسباب حوادث المرور؟.**

✸ **أولًا: أسباب حوادث المرور كثيرة، ولعلَّ السبب الرئيس الآن؛ بل لو قيل إن ٩٩ % من الحوادث بسبب استعمال وسائل التواصل لَمَا كان ذلك بعيدًا!**

- تخيل شخصًا يقرأ رسائل في الجوال؛ ففي خلال ثواني فقط تكون كارثة، أو يكتب رسالة، أو يفتح ملفًا ليرى فيه ما يُشاهَد؛ فهذا لا شك أنه تفريط، بل كم ترمَّل من النساء وكم تيتَّم من الأطفال وكم فقدت بيوت بعض أبنائها بسبب تصرف أهوج ممَّن يقرأ رسالة، أو يكتب رسالة، أو يرى واتساب، ثم تقع الكارثة، ولات حين مندم!

[١٠٠] صحيح مسلم (٢٥٩٤).

- فالحذر كل الحذر، وهذا الذي يفعل مثل هذا يُخشَى عليه أن يكون داخلًا في الحديث «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»، إذا كان أذيتهم بالنفايات أو برفع الصوت عليهم في طرقهم، وبإزعاجهم في بيوتهم، أو بالنظر المحرم؛ فكيف بمن تسبب في إزهاق روح.

✸ السبب الثاني: المزاح في السيارة، وبخاصَّة مع الصغار

فقد يكون الصغير في الخلف فيُداعب الوالد بكثرة، إما بإمساك يده أو كذا، وقد يكون في طريق سريع، وفيه سيارات عن يمينه وعن يساره؛ فهذا قد يؤذي المسلمين في طريقهم، وكم وقعت من حوادث بسبب ذلك، وتعرف أن السيارة بمجرد جزء من الثانية قد تسبب حادثًا.

✸ السبب الثالث: **العناد بين السائقين**

وأنا أذكر هذه الجزئية ويا ليت المرور يضع على هذا غرامة، فبعض الناس يأتي مع طريق سينحرف لليمين، والطريق زحام، ثم يأتي شخص يقف في انحراف اليمين ينتظر الإشارة حتى يستمر في الأمام، فيحبس خلفه سيارات كثيرة بسبب حرصه على أن يكون بجانب الإشارة حتى لا يتأخر! فهذه أذيَّة، وأحيانًا مَن خلفه ينبهونه بالمنبهات وبالإزعاج، فيضطر أن ينزل ويتكلم عليهم، ثم لا تسأل عمَّا يحصل من السب والشَّتم.

- صورة أخرى من العناد تقدَّم ذكرها، وهي أن بعض الناس قد يريد التجاوز أمام شخص يمشي، وهذا الذي في الأمام مُصر على عدم التوسعة، مع أن الحق لمن في الخلف، فيعاند المتقدم بعدم إفساح الطريق، وقد يتهور المتأخِّر؛ فيُقال للمتقدِّم البطيء: يجب عليك أن تتنحَّى، فحق الطريق أن مَن كان يمشي ببطء أو يوسع الطريق لمن كان مسرعًا، وهذا طبعًا بحدود قانونيَّة، وهذا مع الأسف الشديد يكون سببًا لحدوث الحوادث.

✸ السبب الرابع: **الاستعجال**

رسالة من أحد الوالدين قد تسبب كارثة لولدهم، يتصل أحد الوالدين بهاتف ولده، أين أنت يا فلان؟ يقول: أنا في مكان كذا...، فيقول الأب: خمس دقائق وتكون عندنا هنا! الولد يخاف من نظرة والدته ويعرف شدتها، أو يخاف من يخشى والده ويعرف شدَّته؛ فيضطر الولد إلى الإسراع، دع عنك لو قطع الإشارة أو تجاوز؛ لكن ما سيترتب عليه من مضرة الناس من الحوادث أعظم؛ فينبغي على الوالد أو الوالدة أو مَن هاتف أحدًا في سيارته فإيَّاك أن تحثه على السرعة، لأن هذا سيضطره إلى الإسراع، ثم قد يقع ما لا تُحمَد عقباه.

✸ السبب الخامس: **أن بعض الناس فيه سرعة لغير حاجة، وقد يتعدَّى السرعة القانونيَّة**

وقد يكون ذاهبًا لأصحابه، وأصحابه جالسون، فلا يضر إن تأخرت عنهم عشر دقائق أو ربع ساعة أو نصف ساعة! فهذه السرعة تضر بها نفسك وتضر غيرك، فتريَّث ولا يكن من طبعك العجلة، وهذا لا ينبغي لأن فيه مضار.

- أيضًا بعض الناس إذا كانت الإشارة صفراء يُسرع حتى يتجاوز، وإن كان الأمر الآن أكثر انضباطًا، ولكن بعضهم من باب العجلة، ولو سألته لما وجدت عنده أي شغل، ولكن الانتظار عنده في ضجر وتضجُّر، وأيضًا

قد يكون أحد في الجهة الأخر على عجلة يُريد التَّجاوز؛ فمنذ أن يرى الإشارة يتعجَّل، فتقع المصيبة العظمى إذا تقابلت سيارتان من جهتين مختلفتين.

- فيُقال: إذا كانت الإشارة صفراء فاتَّئد، وخاصَّة إذا كنتَ بعيدًا، فكونك تقف ترتاح نفسيًّا وبدنيًّا فأنت لن تضر نفسك ولن تضر غيرك، ولو تأخرتَ ثلاث دقائق أو أربع دقائق فلا حرج.

✸ **السبب السادس: أن يقود سيارة وهو سهران**

ويزيد الأمر خطورة إذا اتَّصل به أحد الوالدين أو أحد أصحابه، تعالَ...، تأخرتَ علينا...، ننتظرك الآن...؛ فتكون المصيبة.

✸ **السبب السابع: الاشتغال بالأكل والشرب**

فبعض الأكل يحتاج إلى فك أو خلط، فقد يكون معلبًا؛ وهذا يسوق وسط الزحام، فمثل هذا يا أخي ينبغي لك أن تقف على جانب الطريق، وكل حتَّى تشبع وامشي على مهلٍ، فلماذا يصر الواحد من هؤلاء على فتح هذا وخلط هذا وتحريك هذا؟! ولماذا هذه العجلة، فلو أذن المؤذن وأنت جائع جوعًا شديدًا فقفْ وكُلْ ما يسد الرَّمق، فنبغي التَّنبُّه لهذا.

✸ **السبب الثامن: قد يكون شخص أراد التَّجاوز فأبى الآخر، فيتعاندان**

وكل واحد يُريد التَّضييق على الآخر، فهذا سفه وسُخف، وقد يكون في أعمار متقدِّمة من السن، فيُعاب على الشاب الصغير، فكيف بك يا رجل تتصرف مثل هذا التصرف! فهذا لا شك يدل على قلَّة العقل، وقد يتسبب -كما تقدم- فيما لا يُحمَد عقباه.

◆ **لو تعطون نصيحة عامَّة للسائقين حتَّى يتجنَّبوا مثل هذه الحوادث؟.**

- أنا أقترح اقتراحًا من باب رد الفضل لأهله، فقد اقترح أحد الإخوة أن تُوضَع لوحات بها حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ»**، وخاصَّة أن اللوح إلكترونيَّة الآن سهلة، فتُكتَب العبارة في غرفة العمليات، وكذلك الإكثار من النصوص النبوية الشرعيَّة، فإذا قرأ الشخص عبارة "لا تسرع.. أولادك في انتظارك"، هذه طيبة ولا شك، ولكن أطيب منها قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **« مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»**، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»**، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ»**[١٠١]، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»**[١٠٢]؛ فيُكثَّر من هذه اللوحات، لأن الشخص إذا قرأ قول الله تعالى وقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهناك وازع شرعي ووازع فطري يتأثَّر أكثر.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



---

[١٠١] أخرجه البخاري (٦٩٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥).

[١٠٢] رواه البيهقي (٢٠٧٦٧)، وحسنه الألباني في الجامع الصغير (٥٣٢٢).

الدرس الحادي عشر



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

فقه العلاقاتِ الاجتماعيَّة.

- من المعلوم قطعًا أنَّ الإسلام دينُ الشُّموليَّة والكمال، وما ترك أمرَ خيرٍ إلا دلَّ الأمَّة عليه، وما ترك أمرَ سوءٍ إلا حَذَّر منه إمَّا إجمالًا وإمَّا تفصيلًا.
- وممَّا عُني به الإسلام ما يتعلَّق بالعلاقات الاجتماعيَّة، والتَّرابط الأسري، والجوار، وما شاكل ذلك، ففي ذلك بناء للبيت، وبناء للأسرة، وبناء للمجتمع، وفي قدر التَّفريط والخلل يكون هدم المجتمع -أو الأسرة أو البيت- متأثِّرًا بنوعِ الخللِ من حيث صغره وكبره.

◆ أول ما نتحدث عنه في العلاقات الاجتماعيَّة هم كبار السن، فلو تعطونا بعض النقاط في التعامل معهم؟.

- ينبغي أن نعرف أن لكبار السن منزلة خاصَّة، وأن الإسلام قد عاملهم مُعاملةً من الديانة أن يتعبَّد العبد ربَّه بهذه المعاملة، فلهم حق التوقير، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«ليس مِنَّا مَن لم يُوَقِّرْ كبيرَنا»**[١٠٣]، وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يُجلُّ الكبير، جاءه رجلان فتكلما فقال لهما: **«كَبِّرْ كَبِّرْ»**[١٠٤]، وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا سقى قال: **«ابْدَؤوا بِالْأَكَابِرِ»**[١٠٥]، ولَمَّا جاءه أبو قحافة والد الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال له: **«هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ»**[١٠٦]. فقال الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ".
- وفي قضيَّة الصيام، إذا ضعف كبير السن خصوصًا -وغيره عمومًا- عن الصيام؛ فيُطعم عن كل يومٍ مسكينًا.
- وذهب بعض الفقهاء إلى أن جلسة الاستراحة إذا رفع من السجدة الثانية؛ فيستريح قليلًا، ثم يقوم للركعة الثالثة، وخصَّ بعض العلماء هذه الجلسة بكبار السِّن، فتوقير كبار السن وتوقيرهم وتعظيمهم شأنه في الإسلام عظيم.

◆ **لو ذكرتم بعض المحاور والمواقف التي تحدث لكبار السن؟.**

☑ **النقطة الأولى:** بعض الأصحاب لهم علاقات من سنين، يذهبون سويًّا للعمل، أو للمدرسة، أو للكلية، ويسافرون سويًّا، ويلتقون في اليوم مرَّةً أو مرتين أو أكثر، فالعلاقة بينهم كأنهم أشقاء، ولكن العجب أن بعضهم لا يعرف والد بعضهم، ولم يره ولم يقابله، حتى أن بعضهم قد يرى والد صاحبه عرضًا في سوقٍ أو في مسجدٍ أو في مكانٍ، ولا يعرف أن هذا هو والد صاحبه الذي هو كظلِّه! وهذا من الخلل، ويُشكَر بعض الفضلاء إذا دعا أناسًا من أصحابه، وأحضر والده وعرفهم به، وأظهر قدر والده، وبدأ يُعرِّف أصحابه على أبيه؛ فهذا فيه إيجابيَّة كثيرة، منها:

- أن هذا فيه مرضات الله -عَزَّ وَجَلَّ.
- وأنه من توقير الكبار عمومًا، والأب خصوصًا.
- وأن هذا الوالد الكبير إذا رآه أصحاب ولده قدَّروه ووقَّروه، وخصُّوه بمزيد من العناية.
- أن يُحظَى هؤلاء الشباب بدعاء من المسن، فقد يدعو لهم بدعوات يكون فيها رفعة لهم في أمور دينهم ودنياهم.

- ولهذا بعضهم في مجلسٍ يتحدَّث فيقول: كان هناك رجل أراه كلما أزور صاحبي، وفجأة قابلته عند باب بيته، فقال لي صاحبي: هذا والدي. يقول: فتندَّمت، من بضع سنين وبيننا صحبة وعلاقة، ولأول مرة أرى والده وهو ما رأى والدي!

---

[١٠٣] أخرجه الترمذي (١٩١٩)، والحارث في ((المسند)) (٧٩٨)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (٨٤/٢) واللفظ له.

[١٠٤] صحيح البخاري (٧١٩٢)، صحيح مسلم (١٦٦٩).

[١٠٥] المعجم الأوسط للطبراني (١٢٩/٤)، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧٣٤): شاذ.

[١٠٦] أخرجه أحمد (٢٦٩٥٦)، وابن حبان (٧٢٠٨)، والطبراني (٨٨/٢٤) (٢٣٦).

- فأنا أقول للشباب: ينبغي لمن بينهم صحبة إذا اجتمعوا في بيت لمناسبةٍ أن يُؤخذ أولًا الإذن من الوالد؛ متى يا والدي يناسبك أن يأتي أصحابي ويسلمون عليك؟ فإذا قال الوالد: يناسبني الوقت الفلاني. فأُخبر أصحابي أن والدي وافق، وله الفضل أن يتفضَّل بالجلوس معهم لسنِّه وتوقيره، فينبغي أن يُتفطَّن لهذا الأمر.

◆ بعضهم يعتذر أن والده فيه قسوة، سواء يخشى أن يقسو عليه أمام زملائه، أو يقسو على زملائه، فما توجيهكم؟.

- هذا في الحقيقة موجود، ولكن يُقال: في الغالب إن الوالد إذا جلس مع أصحاب ولده أو أناس لأول مرة يُجالسهم؛ فإنه يتلطَّف معهم، والولد سيكبر في عين أصحابه أنه وعد والدهم حتى يسلموا عليه، فإن كان الوالد لا يرغب من شدَّة وجفاء؛ أعذرَ ولده له، وأحيانًا بعض الآباء تغلب عليه العصبية، ولكن في الغالب مثل هذه المجالس ما يتأثَّر، لأنه مع أناسٍ لأول مرَّة يُجالسهم، وهذا الشيء شاهدته أنا مع ناس كثُر جلسوا مع آبائهم، بل إن بعضهم أن يُرى من أبيه جفوة فيُنتَقَد، فحتى لو حصل هذا الشيء، فيشفع له شيبته وسنُّه وكبر عمره.
- فإذا عرف الولد أنه سيكون من والده رفع صوت أو كذا، فيُقال له: صدرك أوسع لتحمُّله، وهذا من باب البر به.
- وربما هؤلاء الشباب يقعون في قلب والده فيُحبهم ويتبسَّط معهم، ويسترح في الحديث معهم.

☑ **النقطة الثانية:** إذا جالستَ -أيها الشاب- كبير السن؛ فينبغي أن تكون مُستمعًا لا متكلِّمًا؛ لأن بعض كبار السن يسترسلون في الكلام، وبخاصَّة إذا وفقه الله إلى جليس يعرف كيف يتحدَّث معه، فبعض الشباب الصغار إذا دخل مع كبار السن أخذ المجلس، واستأثر به مع أنه مكبورٌ، فليس هذا من الأدب، وليس من توقير الكبير، بل قد يكون من إهانة الكبير، فالأولى في الأدب أن يكون مستمعًا، اللهمَّ إلا إذا كان كبير السِّن لا يرغب في الكلام، أو أن الأصغر رأى داعي الكلام وموجب الكلام، فيستأذن من الكبير لإظهار قدره واحترامه.

☑ **النقطة الثالثة:** من فقه التَّعامل مع كبار السن، أن بعض كبار السن يرغب ويُحب الكلام في أمر، في محنة، في حرفة، في تاريخ، وأعتقد أن هذا من السياسة الاجتماعيَّة في كسب قلوب كبار السن، أعرفُ أن هذا الرجل المسن كان صاحب زرع، فإذا تحدَّثت معه في الزرع تجده يتكلَّم؛ بل اسأله أنت، واجعله يأخذ راحته، وبخاصَّة أن مثل هذه المجالس لا فيها غيبة ولا نميمة ولا تعصب قَبَلي؛ مجرد أنه يذكر فقط أشياء يُحبها.

☑ **النقطة الرابعة:** بعض الأفاضل مُوفَّق في حديثه، فإذا رأى مُسنًّا في مجلسٍ أو في مسجدٍ، يقول: يا والدي...، يا عم...؛ هذه الكلمة تهدئ النفوس، فإذا بكبير السِّن يشعر بمكانته.

- وانظر إلى الخليل -عليه السلام- مع أن أباه كان على غير دينه وكان مشركًا: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ...**﴾ [مريم: ٤٢]، ﴿**يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ...**﴾ [مريم: ٤٣]، ﴿**يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ...**﴾ [مريم: ٤٥]، فهذه أرق عبارات الأبوَّة من جهة البنوَّة.

- فإذا قلت لكبير السن: يا والدي...، خمسة أحرف، ولكنها ستفعل فعلًا ليس بالشيء السهل، وإذا قلت لامرأة مسنَّة: يا خالتي...، يا عمتي...؛ فلها أثر كبير، فإذا جاءني شاب وقال لي: يا عم..، يا والدي...؛ فهذه الكلمة لها أثر كبير.

◆ **هل يُناديه بالكنية؟**

- أيًّا كان، بعض الناس يستروح بالكنية، وبعضهم يستروح باسمه، ولكن في الغالب أن النداء بالأبوة أو العمومة مقبول في الغالب.

☑ **النقطة الخامسة:** إذا دخلتَ في مجلسٍ وفيه كبير سن، فينبغي أن يُشعَر بقدره، فلو طلب صاحب المجلس منك كلمة تقول: قبل الكلمة نستأذن الوالد والجميع، أو تقول لصاحب الدار إذا طلب منك كلمة: قبل أن تطلب الكلمة أو بعدها استسمح من كبير السن، كأن تقول: نستأذن من العم الكريم الفلان...، نستأذن من والد الجميع...؛ فإذا أُخذ الإذن منه قد يُشارك في الحديث، وقد يُشجِّع على الاستمرار في الحديث، وقد يفتح مجالات أخرى.

☑ **النقطة السادسة:** يدخل بعض الشباب في مجلس فيه كبير سن، فيتعامل في السلام مع المسن كما يتعامل مع مَن في عمره أو أصغر، وهذا ليس من توقير الكبير، تسلم على صاحبك بطريقة، ولكن المسن تشفع له شيبته، ويشفع له أنه كان يركع ويسجد قبل أن تُخلَق، فالأولى أن يُعامل بمعاملةٍ تليق به، كتقبيل رأسه والتَّحفِّي به، وتخصيصه بألفاظٍ فيها تبجيل وتكريم.

☑ **النقطة السابعة:** إذا ألقى الإنسان كلمة أو تحدَّث في حديث ما فيه أحكام شرعية؛ فيقول: نسمع رأي الوالد فلان في هذا الحدث...، فقد يكون الْمُسن عاميًّا وليس له حظ من فهم القضيَّة، ولكن مجرد طرح السؤال عليه أو طرح العرض عليه فيه التوقير، وفيه نوع من الحفظ لمكانته وهيبته.

☑ **النقطة الثامنة:** إذا تحدَّثت في مجلسٍ وفيه كبير سن فينبغي أن يُخص بالنظر أكثر من غيره، والأجمل إذا تكلَّم المتكلِّم ثم بدأ بسرد قصَّةٍ، وأثناء كلامه يقول: الوالد فلان قال لي كذا...، ويستمر في الحديث، فكونه يُخص بلقبه ففيه نوع من التوقير، فإذا تكلَّم مع صغار، ثم خصَّ كبير السن بمزيدٍ من التوقير؛ فالكبير يرتاح نفسيًّا.

☑ **النقطة التاسعة:** قد يعترض كبير السن على المتحدِّث، وقد يخضع المتكلم بأن يكون اعتراضه إما أن يكون صوابًا أو يكون خطأ، والكلام فيما إذا كان الاعتراض خطأً، أما الصواب فسيقبله، فإذا كان كلامه خاطئًا فينبغي للمتكلم أن يتلطَّف في تصويب خطئه، فلا يعترض عليه ويقول: أنت ما فهمت القضية! فلا يُقال لكبير السن هذا، ومن باب أولى لو كان قريبًا، ومن باب أولى وأحرى وأجدر إذا كان والدًا أو جدًّا؛ فإذا أخطأ في انتقاده فترده بلطف، فتقول: ما ذكره الوالد الكريم هذا قول، وإذا رأينا الخبر هذا وجدنا الصحيح كذا...، ولعل الوالد -حفظه الله- يقصد كذا...؛ المهم ترده بطريقةٍ لطيفةٍ في الأسلوب والتعبير.

- فإذا أصرَّ أنه صواب وأن الخطأ عليك، وأنت تعرف أنه ليس بحكم شرعي فلا تجاريه.

◆ طيب لو كان حكمًا شرعيًّا؟.

- تلطَّف في بيان الحكم الشرعي، ويستطيع المتكلم أن يقول: حفظكم الله، ذكر سماحة الشيخ ابن باز وأهل العلم كذا....، فهو الآن سيعلم أنه مكبور، فإذا قلت له هذا بتلطُّف فهذا يكون أبلغ، فذكر الإمام أو ذكر المشايخ المعاصرين يجعل كبير السن يسحب بساطه ويشد رحاله ويترك رأيه.

◆ هل نتوقف هنيهة ولا أناقشه حتى لا يتمادى في الإصرار على رأيه؟.

- أحيانًا يكون الحكم شرعيًّا، ولو سكتَّ عنه ربما يحصل لبس عند الناس، ولكن إذا كان الخبر ليس بحكم شرعي، فتقول: هذا رأي الوالد الكريم...، والرأي الآخر كذا...، ونحترم رأي الوالد حفظه الله، والناس سيفهمون بحسن السياق إذا سبقه وصاحبه ولحقه حسنُ أدبٍ.

☑ **النقطة العاشرة:** أحيانًا كبير السن قد يُصاب بنوع من ما يُسمَّى بالخرف، أو ما يُسمَّى بالمصطلح الطبي "زهايمر"، وهذا يحصل في بعض الأمهات وبعض الآباء -ضاعف الله أجرهم- والشأن هنا في الأولاد من بنين وبنات، بعضهم يضجر إذا كرر والده السؤال، حتى يقول لإخوانه: اجلسوا مكاني...، أو ردُّوا عليه بكذا...، أو يزجر والده ويزجر أمَّه؛ وهذا حرام ولا يجوز، وقد يُقال إنه من العقوق، فكم صبروا علينا ونحن صغار، وكم تعبوا حتى نرتاح، وسهروا حتى ننام، وتألَّموا حتى نفرح؛ فالإنسان يتحمَّل ويصبر، وهذا من مواطن البر التي يُضاعف فيه الأجر للبار من بنين وبنات.

☑ **النقطة الحادية عشرة:** بعض الناس إذا أصاب كبير السن في رأيٍ أو أحسن في تصرف؛ فكأن شيئًا ما كان! لا يا أخي، إذا كان كبير السن قد أصاب في تصرف في المجلس، فينبغي توقيره، يُقال له: جزاه الله خيرًا والدنا الكريم، ونشكره على كذا...، وينبغي يا أفاضل أن نستفيد مما قاله، وأن نحذوا هذا النُّصح؛ فهذا يجعل المسن يحرص على هذه المجالس، والحاضرون يتأثَّرون من تعامل كبير السن، فيتعاملون هم مع آبائهم وأعمامهم والمسلمين عمومًا.

☑ **النقطة الثانية عشرة:** أحيانًا نقرأ في المجلات أو نسمع في وسائل التواصل أنَّ فلانًا من بلد أوربي من غير بلاد المسلمين عمل خيرًا للمسلمين، أو دافع عن قضيَّةٍ، كأن يكون محام أو صحفي، أو رجل أنقذَ مُسلمًا أو مُسلمة، أو مسؤول هناك دافع عن حق من حقوق المسلمين؛ فهذا المسؤول أو ذلك الصحفي، أو ذاك المحامي؛ ينبغي أن يُشكر على فعله، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»[١٠٧]، **والمكافأة له لها آثار:**

➢ **أولًا:** تزيده حرصًا على هذا النهج وهو الدفاع عن قضايا المسلمين.

➢ **ثانيًا:** قد تُؤثِّر على غيره من الكتاب والمحامين والمسؤولين، فيحذون حذوه.

➢ **ثالثًا:** أنهم سيكونون -بإذن الله- أصواتًا ضد من تكلم في الإسلام وأحكامه وشعائره.

---

[١٠٧] رواه أبو داود (١٦٧٢). وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

- ولهذا اقترحتُ المكافأة بالمعروف، وأن تتولى هذا جهات رسميَّة كالرابطة أو وزارة البحوث الإسلامية أو دار الإفتاء؛ فإذا فعل مسؤول أوربي شيئًا للإسلام كأن يُدافع عن قضية إسلامية، أو رفع عنه تهمة؛ فيُشكر بخطاب أو بهدية أو يُدعَى في بلده من قبل المركز الإسلام في العيد ويُكرِّمونه؛ لأنه صنع لنا معروفًا، وهذا من باب المروءة. فالمروءة كان عند الجاهليين أن تُكافأ على مَن أحسن إليك، فيكف إذا تقرب الإنسان بذلك إلى رب العالمين.

◆ بعضهم يترفَّع عن التعامل مع أصحاب المهن الوضيعة، فما توجيهكم؟.

- بعض الناس لا تقبل نفسه أن يتعامل مع هؤلاء، ولكن لا يظهر لهم فعلًا أو قولًا أو مشاعر في انتقاصهم وازدرائهم، وأصحاب هذه المهن يسترزقون، وتغربوا حتى يسترزقوا.

◆ هل من وصايا ونصائح؟.

- الواحد يبدأ بنفسه، ويستفيد من غيره، وإن كان ثَمَّة نصيحة تتعلق بهذا المجلس؛ فيُقال: مَن كان مفرطًا في توقير كبار السن، وبخاصَّة قرابته، وعلى رأسهم الوالدان؛ فليعلم أن هذا من الإثم والخطيئة، وليستغفر الله، وليُنزل الناس في منازلهم، أيًّا كان ذلك المنزل.
- وأُؤكِّد على نفسي وعلى غيري أن أولئك الذين في بعض المهن كعمَّال النظافة لهم حظ من المحبَّة والعطف والشفقة، ولا نحكم على العموم منهم بسبب شخص تصرَّف تصرفًا سقيمًا، ففي أحيائنا أناس يخطئون أخطاء فاحشة ولا يُعمَّم الحكم، فهؤلاء العمَّال لا يُلصقون بأنَّهم كذبة ونصابون محتالون! فلو كان شخصًا أو شخصين أو عشرة من آلاف الأشخاص كذلك؛ فلا تجعل الحكم عامًّا؛ لأن هذا من الظلم.
- يقول لي أحدهم: إذا مررت على عامل النظافة وقلت له: "السلام عليكم"، فيتلفَّت المسكين ويظن أن هناك أحد سُلِّمَ عليه، لا يتوقع أنه يُسلِّم عليه أحد!
- وأذكر واحدًا يقولون عنه أنه إذا أخذ من البقَّال لبنًا وما شاكله؛ ثم مرَّ على عامل نظافة أعطاه، فهذا نوع من التَّعبُّد لله، وهو إدخال السرور على المسلم.

◆ هل صحيح ما ورد عن ابن عمر أنه ما كان يأكل طعامًا إلا أن يُؤتَى له بضيف أو كذا؟.

- سمعتُ أن بعض الصحابة كان لا يأنس بالأكل إلا إذا كان معه أحد، حتى أني سمعت عن الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أنه ما أكل غداءه وحده، ولا عشاءه وحده. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خِيَارُكُم مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلامَ»**[١٠٨]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ!»**[١٠٩].
- وأيضًا بعض الفضلاء كان في بقالة، فجاء عامل وأخذ بعض الأشياء، فأدخل هذا الفاضل ما أخذه العامل فيما اشتراه، وقال للمحاسب: احسبها، ثم أعطى العامل نصيبه، فانظر إلى الفرح الذي دخل على قلبه، فهذا الفاضل تقرب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم أدخل على العامل سرورًا، ثم وفَّر له مالًا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

[١٠٨] حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (1/110).

[١٠٩] صحيح البخاري (٢٨٩٦).